قبلات وآهات



أشرف توفيق

مكتبة رجب

أشرف توفيق

قبلات وآهات

مكتبة رجب
للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب : قُبلات وآهات

اسم الكاتب : أشرف توفيق

الناشر : مكتبة رجب للطباعة والنشر والتوزيع
١٧ ش البيدق - العتبة - القاهرة
تليفون : ٣٩٠٥٩٤٣
٣٠ عمارات منتصر - الهرم
تليفون : ٥٨٦٢١٥٦

الطبعة الأولى : ١٩٩٨

تصميم الغلاف : أسامة أحمد نجيب

الإخراج الفني : جمال فتحي أحمد

الطبع : مطابع سجل العرب
١٠ شارع بستان الدكة (من شارع الألفي)
تليفون : ٥٩٣٢٧٠٦

رقم الإيداع : ١٣٠٣٨ لسنة ١٩٩٧
الترقيم الدولي : 977-5162-20-3

عزيزي القــارئ ...

لأن القبلات تتكرر كل يوم . ولكن التفاصيل هى التى تتغير وقد اعتدنا على البشر الذين ينشرون قبلاتهم . . وآهاتهم . فأنا أكتفى برصد الحــالات ودراستها . . بلا تعليل . . أو وعظ فالأمر لا يحتاج إلى مقدمة . ثم أنه بلا خاتمة أو نهاية .

ولكن تبقى الحكمة الأثيرة التى قالها لى خالى أمد الله فى عمره أمسك يدك . أمسك لسانك . وقبلها أمسك بنطلونك أيضًا ! ! وأضف إليها أمسك شفتاك قبل أن تُسقط القبلات كل شىء !

أشرف توفيق

مصـــــــارحة :

- الفن يستعرض أمام الناس ما يحرص الفنان على إخفائه عن أقرب الناس ؟! **جين روستان**
- بغير الشفتين يكون الجنس مغشوشًا !! **فـــرويــد**
- لماذا صادروا كتابي (حكومات غرف النوم) .. أنا أقول للأطفال لا تفعلوا مثل هؤلاء !!؟ **عادل حمودة**
- لا توجد كلمة (عيب) ولكن يوجد فعل (عيب) **كيتي كيلي**

كلاكيت ثانى مرة !!

كل القبلات مطبوعة . .

ولكن الموضة فقط هى التى تغيرت فبعد أن كان الطبع والنشر بعد الوفاة . أصبح حالاً وفوراً !

وأرجو ألا تنخدع بالعنوان فلم يعد أحد يستخدم عبارة مذكرات أو سيرة ذاتية أو حياتى كما فعل « هتلر » المهم الجوهر فالأيام لطه حسين هى قصة قبلاته الشرعية ، وسارة للعقاد هى قصة قبلاته الفوضوية أما (إبراهيم الثانى) أو (تلك الرائحة) أو (حملة تفتيش) فهى قُبلات من أنواع مختلفة للمازنى وصنع الله إبراهيم ولطيفة الزيات . . أضع لها تسمية قُبلات روائية !!



المؤلفة كيتى كيلى تحمل كتابها (الأسرة المالكة) .. آخر مؤلفاتها .

فهناك حالة تصيب الشخصية العامة أو المشهورة عبر عنها بصدق « عمر الشريف » فى سهرة تليفزيونية عنوانها (المليونير) أنه يريد أن يعترف ، وفى التمثيلية مرض « المليونير » وحار الطب معه فقرر أن ينهض هو على طريقته وذلك بأن يكتب مذكراته وقال عمر الشريف الذى قام بدور المليونير لصديقه وقام بالدور فؤاد المهندس : مرضى

داخلى . . لابد أن أتخلص مما داخلى . . حتى أشفى !! ليفضح نفسه ومن حوله فلقد باع كل شىء بالفلوس ؟!

فهذا النوع من المذكرات العنيفة المنفعلة نوع من غسل الحياة . . شبيه بالأعمال الخيرية التى يغسلوا فيها الأموال القذرة !! شىء من ذلك ستجده إذا فتحت صفحات مذكرات برلنتى عبد الحميد (المشير وأنا) أو منى قطان (التداخل ونزيف الزمن) أو غادة السمان (رسائل غسان كنفانى) .

وأفظع من ذلك . . ستجد عند (شيلى ونترز) أنها نشر كل قبلاتها القذرة ولا تطلق آهة واحدة وهى تتملكها حالة سادية لأنها لاتفضح نفسها ولكن الآخرين وأقرب الناس لها . . لقد اعترفت أنها مارست القبلات مع بيرت لانكستر ومارلون براندو وفرانك سيناترا وشرحت كيف كان ذلك .

فتقول : عندما طلب منى مارلون براندو أن أخلع معطفى قلت له أننى أفضل الاحتفاظ بدرجة حرارتى فإذا به يرد عليها بأن الدفء الحقيقى هو سريره . . . ثم تقول وكان الرجل على حق تمامًا ، فإن دورة فى مسرحية (عربة اسمها اللذة) كان يوحى بقدرته الجنسية ، ولكنى أعترف بأن حقيقته كانت أروع من الخيال !!

أما « هيدى لامار » ملكة الإغراء النمساوية فبدأت تهدد عشاقها القدامى : يا الدفع يالطبع !! وحصلت على ضعف ثمن المذكرات من العشاق الخائفين !

أما أغرب القبلات المطبوعة هى التى يعترف فيها أصحابها بأنفسهم بلا إجبار ولا إرهاب وهم ليسوا فى حاجة لشيىء أو أحد بل هم مشهورين معروفين وبالتالى فكل إدانة لهم وكل حقد عليهم ومع ذلك تصيبهم حالة (دانيل) فى قصة (وقف التنفيذ) لسارتر فهو يقول (أريد أن أطفىء العين التى بداخلى ، لا أريد أن أرى نفسى) أو يصيبهم ما قالت عنه سيمون دى بوفوار : (إن الكتابة عن الذات يشبه الاغتسال والتبرؤ من الدنس) شىء من ذلك دفع برجريت باردو لنشر قبلاتها فمذكراتها لأتقلب فيها الصفحات بل تتنقل فيها من حضن إلى حضن ثم أنها فعلت كل شىء الإجهاض والحمل السفاح والعشق على الزوج وممارسة الشذوذ بل أنها اعترفت بأنها كرهت الأمومة وتمنت أن يكون ابنها كلبًا !! أن حياتها (رجال وكلاب) وكلاهما من النوع الولف !!

ومنذ آلاف السنين وهناك كُتاب للقبلات والآهات - منهم الذين كتبوا « ألف ليلة » ومؤلف كتاب (الأغانى) أبو الفرج الأصفهانى . . فلا يمكن ألا تبادل المنفعة بين الطرفين . ولكن التناول مختلف (هناك من يتناول القبلة بمنطق الفضيحة كصحف التابلويد) وأسرع قُبل من هذا النوع قُبل الأميرة ديانا فالكاميرات والأفلام فى حالة استعداد عسكرى ويدها على الزناد تنتظر انطباق الشفتين ، وهناك الكتاب المهتمين بالحياة الخاصة للمشاهير من منطلق سياسى أنهم يحكمون شعوبهم فلابد من ممارسة الفضفضة الشعبية ، فما تفعله الشخصية العامة فى السر علينا أن نعلنه فى العلن . ولكننا لا نسطنع الفعل ولا نقيمه فقط ننقله من الأوراق الرسمية للضمير الشعبى ومن الظلام إلى النور ومن خاصة الخاصة للعامة !!) .

وحينما نشر كتابى « مشاهير وفضائح » أربكنى مهاجمة البعض لى مع أننى فيه أعلنت انضمامى لكُتاب (القُبلات والآهات) لأنه كما قالت (كيتى كيلى) : ماذا أفعل إذا كنا لا نجد فى حياة مشاهير الأيام دى ألا الفضائح والعرى !! لقد انتهى عصر السير والتراجم !! وهى كاتبة ليست سهلة ولا هينة ولها كتاب حاولت نانسى ريجان أن تمنع نشره أو تغير عنوانه فلم تفلح وهو كتاب « نانسى ريجان فضيحة فى البيت الأبيض » وكيتى كيلى ترفع شعار : كيف تكون الكلمة مخجلة إذا كانت الوقائع صحيحة ؟! فلا توجد كلمة عيب ولكن يوجد فعل عيب فإذا وصفت الكلمة الفعل بحقيقته فالعيب على الفاعل لا الكاتب . . العيب فى الوقائع وليس فى الأوراق .

وفى هذا الكتاب أستمر فى نفس الطريق . . رفع الأحجار وحل الألغاز وضم قطع البازل بعضها إلى بعض لرؤية الصورة الحقيقية !!

فلقد أنشأت « كيتى كيلى » مدرسة كُتاب القُبلات والآهات . . ودخلها الكثيرون . . أنا . . ومحمد رجب . . ومجدى كامل . . . وبعض الكبار . . قد يكون أهمهم عادل حمودة . . وشعارها : « إذا لم تخجل من الفعل فلا تزعل من النشر !! ولا منا » .

أشرف توفيق



١

الأميرة ديانا ..
قُبلات .. وكل آهات القرن العشرين !!

من مشاكل العصر : الأميرة ديانا . . فقد كانت لعبة الصحفيين والمصورين والسياسيين والمحامين . . وهى لعبة خطيرة على العرش البريطانى . هى خانت وزوجها خان . والفضيحة عامة . وهى لقمة لذيذة بالشطة للقراء فى كل الدنيا . وقد ساعدت الجميع على الاستمرار فى تتبع أخبارها وفضيحتها . . فضيحتها لنفسها ولغيرها . وقد تفرجت على اللقاء الفاضح بينها وبين الصحفى الباكستانى . فقد كان صوتها هامسًا ذبيحًا . بما معناه أنها غلبانة مظلومة ازدراها زوجها فكيف لا تزدريه وتسود عيشته وعيشه ألست الوالدة ملكة بريطانيا . . وقد تحقق كل ذلك وزيادة . .

وإذا طال فستانها وإذا قصر وإذا اتسعت فتحة الرقبة وإذا هبطت إلى ما دون الوسط . . وإذا انشق فستانها على الساق . . وإذا انكمش مايوهها من قطعتين . . وإذا نزعت كل ذلك كما فعلت فى مبنى السفارة البريطانية فى القاهرة ولما رأت المصور المصرى محمد جوهر وهو يتسلل بالكاميرا بين فروع الشجر اعتدلت عارية تمامًا وبعث بالصور إلى مجلة (بارى ماتش) التى لم تنشر هذه الصور حتى الآن !

ولكن فى يوم صيف جميل هذا العام ١٩٩٧ ومن على بعد خمسمائه يارده التقطت عدسة أحد المصورين الإيطاليين مجموعة صور للأميرة ديانا ودودى الفايد وهما يتبادلان العناق والقبلات ، كانت الصور حقيقية وحالمة وتكشف الأميرة الناعمة غارقة فى بحر العسل حتى أذنيها - وأظهرت الصور الولد المصرى دودى ، وهو أسمر لون النيل

وهو يحيط خصر الأميرة بيديه - وديانا البنت فلقة القمر رخامية الجسد ، مرمرية الإحساس تذوب بين شفتيه فى قبله !!

المصور الإيطالى طار عقله بعد أن تأكد من نجاحه فى القبض على صيد ثمين ويقال أنه استشار المصور الفرنسى العالمى « دانييل أنجيلى » الذى سبق له أن فاز بصيد ثمين أيضًا من العائلة الملكية البريطانية حيث صور الأميرة سارة دوقة يورك فى حضن مليونير آخر وهو يلعق أصابع قدميها وهى فى مايوه قطعتين وفى صور أخرى بقطعة واحدة . . فقد خلعت سارة فى خلوتها مع المليونير مشد الصدر !! وسأله عن كيفية تسويق هذه الصور عالميًا .

وبسرعة توسط له عند مجلة (بارى ماتش) واحتفظت المجلة بحق نشر هذه الصور مقابل ١٠٠ ألف جنيه ، مع أن الذين رأوا صور « محمد جوهر » قالوا أنها أجمل وأوضح وأكثر إثارة !!

والناس مختلفون بين (دودى آه . . دودى لا » أى بترشيح دودى الفايد من الزواج منها أو أنها حركة من ديانا لتشغل العالم عن القضية الجديدة التى تبنتها العائلة الملكية فى إنجلترا وهى زواج تشارلز من كاميلا باولز والمحاولات المضنية التى يبذلها تشارلز فى هذا الشأن وربما كانت ديانا تعد لذلك من قبل وبخاصة أنها وقفت قبل أسبوعين من رحلتها البحرية هذه وقالت لصحفية أنها ستصدم العالم بمفاجآت جديدة .

وليست هذه هى صور القبلات والآهات الوحيدة فى حياة ديانا فمن قبل قدم چيمس هوايت تسجيل صوتى وصور لها معه هذه المرة هو

وهى فى غرفة النوم مرة فى منزل والده هوايت بديفون ومرة فى منزل (بهايجروف) يملكه زوجها وقتها الأمير تشارلز . بل أنه كتب عن علاقته معها (كتاب) قال فيه أن الأميرة ديانا كانت ترغب فى الزواج منه وترغب فى إنجاب طفل له ! ! والغريب أنها لم تقاضيه بل أنها وقفت فى التليفزيون واعترفت أنها خائنة وأنها على علاقة خاصة به .

ولم يكتف العاشق بذلك . . لم تكفيه كل هذه البهدلة . . فقد فضحها صوتًا وصورة وكلمة فلقد تحدث العشيق الولهان فى برنامج تليفزيونى لمدة واحد وأربعين دقيقة عن ديانا ، وحتى الآن لم تجرؤ أى محطة بريطانية على عرض هذا البرنامج بينما عرضته سبع عشرةدولة من استراليا إلى أمريكا لدرجة أن محطة الـ RTL الألمانية دفعت ما يقرب من ثلاثة ملايين ونصف مارك مقابل إذاعة هذا البرنامج .

قال چيمس هوايت - وهو شاب وسيم - إنه كان ضابطًا فى قوات حراسة الملكة ، وبعد أن وقعت الليدى ديانا فى حبه وأقامت معه علاقة خاصة ، قرر الأمير تشارلز طرده من الخدمة .

وتحدث هوايت عن أحزان « ديانا » مشيراً إلى أنها عانت معاناة رهيبة بعد صدور كتاب عن تشارلز تضمن اعترافًا صريحًا له بأنه على علاقة وطيدة بـ « كاميلا باركر » ، وقد فكرت ديانا كثيراً فى الانتحار . . وأكد « هوايت » أنه اكتشف عذاب ديانا فقرر أن ينتشلها ، وأن يملأ فراغها العاطفى ، وبدأ فى الاهتمام بها . . وشيئًا فشيئًا اكتشف هوايت أن ديانا فى حاجة شديدة إلى حبة وحنانه فغمرها بعواطفه الجياشة .

كان العاشقان يتقابلان فى عطلات نهاية الأسبوع فى أماكن متعددة من بينها قصر كينسنجتون فى لندن ، وفى منزل والدة هوايت بديڤون ، وفى منزل بهايجروف يملكه الأمير تشارلز ، وفى منزل عائلة ديانا . وأكد هوايت فى نفس البرنامج أنه وديانا كانا ينامان فى غرفة واحدة ، وفى سريرين منفصلين ، وفى الغرفة المجاورة لهما كان حُراس ديانا يسهرون الليل كله لتأمين أسرار الليدى الجميلة .

أضاف هوايت أن كتيبته ذهبت ذات مرة فى جولة تدريبية إلى ألمانيا ، وقضت هناك هدة أشهر ، فاضطرت الأميرة العاشقة إلى الاتصال به يوميًا ، وظلت تتبادل معه الخطابات الغرامية ، وعندما حضر فى إجازة إلى لندن اشترت له « بدلاً » بما قيمته أربعة آلاف مارك ألمانى ، وقمصانًا فاخرة وحذاءً من أغلى الأحذية الموجودة فى بريطانيا وذكر هوايت أن الملكة كانت تعرف بعلاقتهما معًا من خلال سكرتيرها الخاص « سير روبرت » كم كانت المفاجأة بالنسبة للملكة التى لم تكن تتوقع يومًا أن زوجة ابنها ولى العهد تخونه مع أحد حراسها ، ولكنها لم تحذرها من خطورة علاقتها بالضابط الوسيم .

وواصل هوايت حديثه مؤكدًا أنه رفض أن يعيد للأميرة بعد توقف علاقتهما الخطابات الغرامية التى كانت قد كتبتها له ، وأخبرها ذات مرة أنه يعتبر هذه الخطابات تذكاراً للحب بينهما ، وليس لديه أدنى استعداد للتفريط فيما لديه من وثائق منها .

ولكن « ديانا » علمت فيما بعد أنه سرب بعض التفاصيل عن علاقتهما إلى صحف الإثارة ، وذكرت هذه الصحف بعض التفاصيل

الدقيقة عن علاقتها بهوايت وكذلك عن علاقتها بزوجها الأمير تشارلز ، وفيما يبدو أن ما ذكرته هذه الصحف كان صحيحًا ، وأنها بالفعل اشترت من هوايت هذه الأخبار لأنه ذكرها ببساطة شديدة فى حديثه التليفزيونى .

والغريب أن ملكة إنجلترا التى تعرف كل شيء لم تتحرك إلا بعد حديث الأفك الغريب الذى تحدثت فيه ديانا لشركة (بى بى سى) البريطانية ونشرت فيه غسيلها القذر هى وزوجها الأمير تشارلز مما جعل المراقبون يقولون لولا حديث الملأ لصبرت ملكة إنجلترا الأم فى أن تصبح ديانا ملكة ترث العرش بعد إليزابيث الحالية ، بحكم وصايتها على ابنيها الأميرين ، ولكن لسان ديانا دمر كل شيء .

أما تفاصيل هذا الحديث فغريبة وعجيبة ففى ٢١ نوفمبر ١٩٩٥ :

قالت ديانا فى حديثها أنها لن ترحل بسهولة ، ولن تخفت عنها الأضواء بسرعة ، قالت أنها ستبقى ، ولن تكون أيضًا مثل كاترين ، التى استطاعت الكنيسة الإنجليكانية أيامها أن تغير قوانينها وتوافق على طلاقها من الملك هنرى الثامن فى القرن السادس عشر ، وذلك ببساطة ، لأن كاترين لم تنجب (وريثًا) للعرش ، بينما أنجبت ديانا اثنين معًا ، هما « وليام » و « هارى » ورغم ذلك فإن « ديانا » محظوظة ، لأنها ولدت فى القرن العشرين ، وليس فى القرون الوسطى ، إذ لم يكن سيمنع ابعادها عن القصر الملكى أحد ، حتى أبناءها : طالما كانت هذه رغبة ملكية .

ديانا الأميرة ، تعمدت نشر غسيل زوجها ، وغسيلها أيضًا ، القذر ، في يوم ميلاد زوجها السابع والأربعين ، وكذلك في نفس توقيت مرور سنة كاملة ونصف على إدلاء زوجها بحديث « فضفض » فيه تمامًا لمحدثه « جوناثان ديمبلي » وطال الحديث إلى ١٨٠ ساعة . ويرى كثيرون أن الأميرة تعمدت هذا التوقيت للادلاء بالحديث ، ردًا مباشرًا على حديث زوجها عنها .

والأميرة ديانا ، ألمحت في حديثها إلى أن زوجها يغار منها ، لا عليها ، لأن أضواء الكاميرات كانت تلتقط وجهها وحركاتها وملابسها في أي مكان يذهبان إليه ، بسبب جمالها اللافت للنظر ، وحتى بعد أن أنجبت ابنها ويليام عام ١٩٨٢ ، ظلت تعتبر في نظر الرجال « سندريللا » .

لكن السندريللا أصبحت حزينة ، أصابها الاكتئاب بعد ولادة طفلها الأول ، قالت إن القصر يقيدها ، وأن زوجها انشغل بغيرها ، حتى بعد أن ولدت له ابنه الثاني في عام ١٩٨٤ ، لكن ديانا » التي تلمع في عينيها أحيانًا نظرات خجلى ، اعترفت بكل بساطة ، دون أن يرمش لها جفن ، أنها أحبت حارسها الفارس « هويت » في بداية عام ١٩٩٢ ، لكن « هويت » غدر بها ، نشر كتابه الشهير عنها « أميرة في حالة حب » ، كتبته له المؤلفة « آن باسترناك » حفيدة الروائي العظيم الروسي « بوريس باسترناك » !

« ديانا » لا تنكر - وبحس الأنثى التى تريد أن تنتقم - اعترفت للذى أجرى معها الحوار ، وعلى مرأى ومسمع أكثر من ١٠٠ مليون شخص رآها على الشاشة ، أنها أحبت هذا الفارس ، وديانا تريد انقاذ ماء وجهها ، الذى يعشقه الملايين ، بأن زوجها الذى أحب امرأة أخرى تكبرها سنًا ، وتقل عنها جمالاً وجاذبية ، هذا الرجل - الزوج - فضلت عليه حارسًا شابًا ، بل « وهامت » به على حد قولها ! .

وهى ليست بالخاسرة على كل حال ، فحتى على فرض إجبار القصر الملكى للأمير تشارلز على طلاقها ، فإنها ستطالب الأمير - أو الملكة اليزابيث - التى يقال إنها أغنى شخص فى العالم - أو هى من بين أغنى أربعة أشخاص - لا يهم . . ! المهم أن ديانا ستطالبها بأن تكون لها حضانة طفليها ، وكل الظروف الملكية المحيطة ، وثلاثة من القصور ، ودخل لا يقل عن ١٥ - ٢٠ مليون استرلينى فى العام الواحد .

وفى نفس الوقت ظهرت « ديانا » بصورة المرأة المغلوبة على أمرها ، التى لا تلقى اهتمامًا ولا رعاية ولا حنانًا ولا حبًا من زوج (لعوب) ليس لديه مقومات الملك على العرش ، ولا الزوج المخلص فى البيت ، ولا حتى الأب الحنون !

الأمير « تشارلز » فى الوجه الآخر للصورة ، رجل تعيس فى الحقيقة ، حياته عبارة عن تراجيديا حقيقية ، والده الأمير فيليب زوج الملكة اليزابيث ، تربى فى بيئة قاسية ، انطبعت عليه بكل ما فيها وزاد من هذه القسوة ، وضعه كزوج للملكة ، دائمًا فى الظل ! دائمًا وراء

ظهرها، دائمًا خلف الأضواء لا أمامها ، وعكس كل هذا على تربية ابنه الأول « تشارلز » الذى كان يتحتم عليه أن يغتسل بماء مثلج فى المدرسة الداخلية ، فى عز الشتاء ، لينشأ (رجلاً) قويًا !!

وحين التقى تشارلز وعمره ٣٢ عامًا بالفتاة الخجول « ديانا » حاول اقامة صداقة معها تدخل الأب فيليب بطريقته الخشنة ، وخيّره بأن يقطع علاقته بها تمامًا ، أو يخطبها فوراً دون مقدمات ، وقد كان !

وانشغل الرأى العام بالفتاة الصغيرة الجميلة ، التى خطفت الأضواء من كل العائلة المالكة ، والتى كانت أخبارها تحتل صدارة الصحف الإنجليزية ، وكان (تمرد) الأميرة على برتوكول القصر مثار الحديث دائمًا . فكانت ديانا تخرج بتسريحات غريبة ، وتلبس الديكوليه الواسع ، الفساتين القصيرة جداً ، وتوزع الابتسامات والضحكات والمصافحة ، كأى فتاة عادية !

وقد حدث مرة أن الملكة ألقت خطابًا عن مشاريع (الخصخصة) التى كانت تنتويها رئيسة الوزراء آنذاك « تاتشر » ، لكن الصحف خرجت فى اليوم التالى تتكلم باسهاب عن تسريحة شعر ديانا الجديدة .

ويبدو أن ديانا وجدت أنه لا مفر من المواجهة بعد كتاب الميجر «جيمس هويت» عنها والذى سجل فيه قصة حب متبادلة بينهما وارتباط حميم لمدة خمس سنوات علمها فيه ركوب الخيل وعلمته هى الهوى ، بل أن الطريقة التى كتبت به (آن باسترناك) الكتاب . . كان اضحًا منها أنها تنقل أحيانًا من رسائل غرامية وأحيانًا أخرى من شرائط كاسيت وقد أضافت له الكثير من الشطة والكمون !!

فمثلاً فقرة تقول : « فى كل مرة كان جيمس يستعد فيها للمغادرة ، اعتادت ديانا على الارتماء بين ذراعيه وهى تذرف دموع الأطفال الخائفين من أحد أبويهما وهو على وشك تركهم للوحدة والمجهول ، اعتادت على التعلق به بشدة واعتاد بدوره على احتضانها بقوة محاولاً إعادة الثقة إلى نفسها وضخ الكثير من القوة فيها ، وغالبًا ما شعرت ديانا بأنها بحاجة ماسة إلى اعادة تأكيده على ما يكنه من حب تجاهها ، بل أن ديانا كانت تختلق الأعذار للاحتفاظ بجيمس حتى لدقائق أخرى إضافية . يتذكر جيمس كيف أنه ذات مرة بحث عنها ليقل لها بأنه حان وقت مغادرته ، فوجدها داخل الحمام ، وما أن قال لها بأنه مغادر حتى ارتمت بين ذراعيه تقبله وتقول له : « أريدك الآن فى هذه اللحظة وفى هذا المكان » . !

وتقول فى فقرة أخرى : ذهبت ديانا فى شوقها به لأقصى حد ، فقد ذهبت إلى منزل هويت برفقة ٤ حراس وتعرفت على أمه !! . . فقد جاءت فى الزيارة الأولى بسيارتها الخضرا الجاغوار ومعها مخبرها (كين وارف) وتتبعها سيارة حماية فيها أربعة رجال شرطة وقابلت أمه «شيرلى هويت» أى أن كل شىء كما يقولون « على عينك يا تاجر » !! فهى تذهب لبيته وتقابل أمه وتخرج لذلك فى مأموريات رسمية . عجبى !!

وتقول فى فقرة أخرى : « فى كل مرة التقت ديانا جسديًا بجيمس كانت تكرر عليه سؤال لا يتغير : هل يجدها امرأة جذابة ومثيرة ؟ ! » وتقول فى أخرى : « اعترفت ديانا له بأنها مصابة بمرض (البوليما) » .

والغريب فى الكتاب أنه فى نهاية عام ١٩٨٩ تقرر سفر جيمس هويت لمدة عامين فى مهمة تدريبية فى ألمانيا وفكر بالفعل فى انهاء العلاقة ولكن فى كريسماس ١٩٩٠ عاد كل منهما للاخر واعترفت له ديانا بأنها حاولت أن تنساه وتحقق ذلك بعلاقة مع اثنين من حراسها هما (جيمس جيلى وديفيد واترهوس) ولكنها اقتنعت بأن الحب الذى بينهما لا يموت !! وفى الكتاب ما يفيد أن جيمس لم يخن أو على الأقل لم يبدأ ذلك فقد أرسلوه لحرب الخليج بلا مبرر وعند عودته أفهمته الأميرة ديانا بأنها لا تستطيع أن تغامر أكثر من ذلك معه وبخاصة أن الصحافة فى بريطانيا بدأت تشم الأخبار ثم كان قرار الاستغناء عنه من الجيش الذى صدر لأسباب واهية !! فجاء كتابه على طريقة شمشون والبادئ أظلم .

وبعد هذا الكتاب بدأت حرب الكتب بين الزوجين تشارلز وديانا ليصلا إلى النهاية . نشروا قبلاتهم وآهاتهم وأوجاعهم وبعد شهر من صدور الكتاب الصدمة (الأميرة العاشقة) . . خرج كتاب (أحزان الأمير) وفيه يقرر الأمير تشارلز أن يغسل أوجاعه ويغير ثيابه وينشر هو الآخر غسيله !!

اعترف الأمير فى كتابه بأنه لم يحب ديانا وأنه تزوجها تحت ضغط والده ، وأن سبب اكتئاب ديانا أنها عرفت علاقته بصديقته كاميلا لكن الكتاب رغم مصداقيته يمثل ضربة أخرى تهز العرش البريطانى .

وتكشف السيرة عن الحياة الخاصة داخل القصر الملكى وعن علاقة الأمير بوالديه وأسلوب التربية الخشن المغلوط الذى أدى إلى أحزان

وجروح عميقة فى نفس الأمير ، مما يعتبر إلى حد كبير هجومًا على تلك المؤسسة التى تتعرض كل يوم للهجوم من جانب السياسيين والصحفيين .

ويتحدث الأمير بصراحة عن معاناته من أبيه الذى كان يشتد عليه فى النقد ويسخر منه حتى أمام الضيوف ويدفعه إلى البكاء دمعًا ، ويظهر الكتاب كيف كانت الروابط واهية بين الملكة وابنها وبين الأب وابنه . ولحظات الحب فى حياة الأمير كانت تأتيه من مربيته التى كان يقضى معها أغلب الوقت فى طفولته . وكان أبوه يفضل شقيقته « آن » عليه فى كل شىء مما ترك آثاراً سيئة فى نفسه .

وبرز الأمير فى الكتاب طفلاً وشاباً رقيقًا معذبًا من قبل أسرة لم تدرك مدى حساسيته . كان أبوه يعتقد أن تربية ابنه ينبغى أن تكون خشنة ليعده لمواجهة عالم قاس يحتاج إلى القوة ، وراح يضغط عليه فى هذا الاتجاه إلى أن حول حياته إلى جحيم حقيقى .

كان الأمير الوالد قد تلقى تعليمه فى مدرسة ثانوية مشهورة هى «جوردنستون» وصمم على إرسال ابنه إليها . وفى هذه المدرسة عانى تشارلز كل أنواع العذاب ، من ضرب وإهانة ، وخاصة من زملائه الذين كانوا يتفننون فى إيقاع الأذى به . لم يكن يستطيع الشكوى ، وعندما يلمح بشىء من هذا بجيئه رد من أبيه أن هذه أفضل طريقة للتدريب على الحياة وسط عالم بالغ الخشونة

وما أكثر النقد الموجه من الأمير إلى والده الذى لم يخففه الأسلوب المهذب الذى يشير إلى حسن نيته ورغبته الصادقة فى تربية ابنه

على الأسلوب الذى يعتقد بصحته . وكذلك الملكة التى كان يشعر بأنها لو التفتت إليه لأنقذته من تسلط أبيه وقسوته ، ولكنها كانت قد تركت الأمور الخاصة به لزوجها يديرها وفقا لما يراه .

هل هذه العلاقة الغريبة ، والتى قد تكون فاترة بين الوالدين وولدهما ، هى المسئولة عن تصميم الملكة على ألا تتنازل عن العرش لابنها حتى مع بلوغه الخامسة والأربعين واقترابها من السبعين ؟!!

والأمير يبذل جهداً كبيرا ليظهر أمام الجماهير بالصورة التى يرضى عنها ويرضون عنها . وكثيرا ما كان ينتقد الدولة يتحدث فى الفن والثقافة وهو كشخص عادى من بين المثقفين غير المتخصصين رائع ، ولديه ذوق وحس فنى وجمالى ممتاز ، وصورته طيبة بغير شك ولكنه ليس شخصية «كاريز ماتيه» بعكس الأميرة ديانا التى جسدت فى أذهان الناس صورة «سندريلا» الجميلة ، وأحبها الناس وفتنوا بها أحيانا

الكتاب يتحدث بتفصيل عن علاقة تشارلز بديانا ، وهو أمر متوقع بالطبع ، ويحكى عن أول لقاء بينهما ، وكيف تطورت الأمور نحو الخطبة ، وكيف كان والده يضغط عليه للزواج ، وكيف لم يترك له الوقت الكافى ليتآلف معها . ويعترف تشارلز بأنه أعجب بديانا ، ولكن هذا الإعجاب لم يصل إلى الحب . وبعد الزواج بدأ تشارلز يكتشف أن زوجته تنتابها حالات اكتئاب وتصبح قادرة على تسميم الحياة . كانت تجلس القرفصاء ضامة ذراعيها حول ساقيها ودافنة رأسها بينهما لساعات طويلة ، ثم بدأت فى إيذاء نفسها عمدا كأسلوب للفت النظر ، ثم جاءت محاولات الانتحار .

نعم عدة محاولات لديانا حاولت فيها الانتحار !!

المهم أن العاشق النذل (چيمس هيويت) بعد أن ظهر كتابه طلب منه محاميه أن يترك انجلترا لأن الأميرة لو لجأت إلى القضاء لعرض نفسه للموت لأن القانون الإنجليزى فى المادة ١٣٥١ يقضى بأن من تثبت إدانته بالخيانة والزنا مع زوجة ولى العهد يعاقب بالإعدام شنقًا وهرب چيمس إلى الأرچنتين وهو يضحك وسألوه لماذا ؟! فقال أن عشماوى الإنجليزى بهذا القانون قد لايذهب لزوجته مدة خمسة أيام !! هاها . . ولم تكن هذه نكتة أن ديانا نفسها ردت على كتاب (أحزان الأمير) والذى تدخل تشارلز بنفسه فى نشره بأن الأمير نفسه قد جعلها أكبر داعرة فى العالم مادام قد تزوجها عن غير حب كما يقول فى كتابه ، وما دام يكرهها إلى هذا الحد !!



٢

الأفنــــدى ...
والأسـرة المـلكـيـة !!

الأميرة فتحية هى أصغر شقيقات الملك فاروق ، وأحب بنات الملكة نازلى إليها وكان والدها الملك أحمد فؤاد يحبها كثيرًا ويستبشر بها ، وقد علمتها مربيتها الإنجليزية عندما ترى الملك أبيها أن تصفق وتقول (يعيش جلالة الملك) وكان هو بدوره يحبها ويقبلها وقد عرفت فتحية التى ولدت فى ١٧ ديسمبر عام ١٩٣١ بحبها للفقراء ، حتى أنها كانت توزع مصروفها على خدمها بقصر الدقى ، حيث كانت تقيم مع أمها الملكة وقد عرفت منذ صغرها برقة القلب ورهافة الحس وتحليقها فى عالم رومانسى تعيش فى أجوائه ويروى عن فتحية أنها كتبت موضوعًا إنشائيًا تحت عنوان (أمنيتى) أحدث دهشة عند أمها الملكة نازلى عندما تحدثت فيه متمنية أن تكون فلاحة بين الفلاحين تعمل على تغير حياتهم وتشيد لهم البيوت وتصنع لهم ملابسهم وترتدى نفس زيهم الفلاحى الجميل وقد سألتها الملكة نازلى أين رأيت هؤلاء الفلاحين وأنت فى هذا السن الصغير أجابت : لقد رأيتهم على طول الطريق من القاهرة إلى الإسكندرية حفاة مغروسين فى الطين !!

وقد عاشت فتحية مع أمها فى عزلة عن جو السرايا الصاخب ولكنها كانت تعشق أفلام السينما وترى فيلمًا كل يوم وكانت تقلد إحدى الممثلات المعروفات وقتها وهى الفنانة (شيرلى تمبل) ولكنها لم تعرف فى صدر شبابها أى صداقة مع الجنس الآخر ولما سافرت مع أمها إلى أمريكا ووجدت شقيقاتها يعشقن ويتزوجن كانت تترقب تلك اللحظة برؤية رومانسية متصورة فيها الفارس فتى الأحلام .

وحينما قاربت على العشرين من عمرها كانت الملكة نازلى بولاية مينسوتا الأمريكية قد دخلت المستشفى لإجراء عملية وفحوصات فى

الكلى وقد انتهز رياض غالى المرافق للملكة والأميرتين الفرصة لينفرد بفتحية وكانت هى وأختها الأميرة فايقة يتناوبان السهر على أمهما بالمستشفى وفى نوبات سهر فتحية وفى تلك الفترة التى تشعر فيها بالوحدة القاتلة كان الأفندى غالى يمد يده إليها لينتشلها من حالة الغربة والكآبة التى كانت تعانيها . وقد استغل بالطبع قلة خبرتها بالحياة ورومانسيتها المفرطة وأخذ يتقرب إليها أكثر وأكثر وتسلل بالفعل إلى قلبها دون أن تدرى وكان رياض غالى يجيد العبارات المعسولة ويستطيع أن يتقمص الأدوار التى يقوم بها وكما تقمص دور الخادم المطيع والإبن البديل للملكة نازلى تقمص بسهولة دور الفارس الحبيب للأميرة فتحية وعلى الرغم من أن الجميع قد لاحظ أن الملكة نازلى تحبه وتطيعه بدرجة غير عادية لم تلاحظ الأميرة فتحية ذلك، اعتبرت أن كل ما يحدث هو اللون الأبيض لرومانسية الحياة .

ولكن لا أحد من الدارسين والمهتمين إلا وسجل قصة غرام نازلى ورياض على هامش قصة غرام رياض مع الأميرة فتحية ووصل تعلق فتحية بالأفندى الدبلوماسى إلى درجة أنها حاولت أن تقنع أمها بالبقاء فى أمريكا عندما طلب فاروق من أمه العودة فقد تمكن رياض من إقناع الأميرة بأن العودة معناها نهاية حبهما لأن الملك سوف يمزق رياض إربًا ويأمر بحبسه أو التخلص منه . ولم تدر فتحية أن الأم أيضًا لا تريد العودة !!

وأثناء وجود مبعوث الملك فى أمريكا وهو وكيل الديوان الملكى (حسن يوسف) يطلب من الملكة العودة بالأميرتين . وأن غضب الملك فاروق فى طريقه للانفجار كان رياض غالى بغرفته فى نفس الفندق يشعر

بالخطر ويواصل مسلسل العشق والهوا بالتليفون نهاراً مع الأميرة فتحية وباللقاءات السرية ليلاً مع الملكة نازلى بعد نوم الجميع !

وقد حدث فى أثناء محاولة فاروق إقناع الملكة نازلى . [بالعودة حتى أنه أرسل لها شريف صبرى شقيقها لإقناعها] أن ضاع من فتحية بروش كان يقدر بأكثر من عشرين ألف جنيه مصرى فى الأربعينات فقد كان مكون من ستة وثلاثين حجر من الماس وثلاثين حجراً من الزفير وكانت الأميرة قد فقدته عند ذهابها للمسرح برفقة أمها وأختها وقد قام رياض غالى بدور جوهرى وببحث طويل عن هذا البروش ولجأ للبوليس والخارجية بل أنه أجر مخبراً خاصًا عن طريقه استطاع أن يعرف أن أحد عمال النظافة قد وجده وعاد رياض بالبروش إلى فتحية وقد قيل وقت ذلك أنه دبوس الحب الذى شك الأميرة وجعلها تتعلق برياض إلى الأبد .

كان الغريب هو رد فعل الملكة نازلى لقد غيرت بسرعة كل مخططاتها رأت أن وجود الأميرتين فايقة وفتحية بجانبها وأن يكون لهما زوجين رهن طاعتها وإشارتها هو كل شىء . وبسرعة بدأت تعد العدة إلى زواج فتحية من الأفندى رياض غالى . إن هذا التحول كان غريبا أن ترضى بأن يكون الرجل الذى ضحت بابنها من أجله هو زوج ابنتها !! أنها اعتقدت طالما أن فتحية لم تر شيئًا فإن العالم كله لم ير ! وبالطبع كانت نازلى تريد أن تعلن الزواج وأن تنجح مشروعها الجسور باختيار الوقت الملائم لإعلانه .

وبدأت فى استقراء كل الحوادث التى تحيط بها فى محاولة للاستفادة منها وجاءها ما تريد حادث غريب فى مارس ١٩٥٠ فقد

التمست صاحبة السمو الإمبراطورى البرنسيسة فاطمة صغرى شقيقات شاه إيران من أخيها الشاه أن تتزوج من شاب أمريكى مسيحى اسمه (فنسنت هالر) وشجع ما فعلته البرنسيسة فاطمة الملكة الوالدة أن تستمر فى مشروع فتحية والأفندى ولكنها فوجئت بردود أفعال عنيفة فقد ثار الإمبراطور على أخته فاطمة التى كانت قد قررت الزواج من المسيحى الكاثوليكى بدون إذنه بل أنها حينما واجهته بأنه غارقًا لأذنيه فى حب رسامة أمريكية هى (روس استيفن) هجرها الإمبراطور الإيرانى وأصدر قرارا بحرمانها من لقبها وميراثها وجميع حقوقها كمواطنة إيرانية وحرمها من العودة إلى بلادها وتلقى برقيات تهنئة من كل أنحاء العالم الإسلامى تشيد بموقفه وتؤيد قراره .

وحين أعلنت البرنسيسة فاطمة بأن زوجها ينوى أن يشهر إسلامه طبقا للطقوس الإسلامية رد عليها (قدور بن غبريت) أحد كبار الدين الإيرانى بأن الإسلام اعتناق لعقيدة وليس مجرد وسيلة لتحقيق مآرب دنياوية كالزواج .

ومرة أخرى اضطرت الملكة نازلى للتراجع وطلبت من الأميرة فتحية أن تعيد النظر وساد جو من التشاؤم فى الأجنحة الملكية بفندق (فيرموند) لكن الأزمة سرعان ما انفرجت نتيجة لتدخل والدة الامبراطور الذى أدرك أن تشدده الذى أرضى رجال الدين قد يدفعهم لكثير من التدخلات فى الحكم على أساس دينى . وبخاصة حينما نشرت قصة غرامه بالرسامة الأمريكية الشابة (روس) فصدرت الأوامر بإيقاف مثل هذه الحملات واتصل الامبراطور بشقيقته مهنئًا إياها بالزواج وأصبح

هناك حملة يقودها القصر الإيرانى بأن النطق بالشهادتين كاف للتثبت من إسلام الإنسان وأن علينا بالظاهر والله أعلم بالباطن وعقد القران الدينى بالسفارة الإيرانية بباريس على يد أحد رجال الشيعة وهو الإمام (شرازى) آنذاك حزمت الملكة نازلى أمرها واتصلت بالقاهرة لتعلن عن خطبة الأميرة بالأفندى .

واستدعى فاروق رئيس وزارته مصطفى النحاس وطلب منه العمل على منع الزواج المتوقع وبأى شكل ولكن نازلى ردت عليه بازدراء ولم تعره أى اهتمام وقالت له (أوامر فاروق ماتمشيش علينا) . . وهنا حاول فاروق إعداد خطة سرية لخطف الأميرة فتحية من أمريكا بجواز سفر دبلوماسى يحمل اسم سيدة أخرى ولكن الخطة فشلت .

وفى اليوم التالى من فشل هذه الخطة استدعى فاروق شقيقته فوزية وشكى لها أمها وأختها وقال لها (مستخدم بسيط فى الخارجية عرف يضحك على أمك وأختك علشان يأخذ فلوسهما لكن ولا مليم راح يطوله منى والزمن بيننا طويل) .

ولكن فوزية قررت ألا تتدخل فقال لها (أنت شايفه المسدس ده أنا هفرغه فى قلب رياض غالى) . وهنا دخل رئيس الديوان ليهمس فى أذن الملك بأن وزير خارجيته بالباب وعلى الفور أذن له بالدخول . . وما إن رآه فاروق حتى صرخ فى وجهه قائلاً : (هل جبت الولد ؟! فامتقع لون الوزير ورد بصوت خفيض : لا يا مولاى !!

وبعد أن يأس الملك من وقف الزواج بعث إنذار للحكومة الأمريكية عن طريق السفارة لترحيل نازلى وابنتها إلى مصر ولكن نازلى اتصلت بالسفارة الأمريكية وقالت لمسئوليها أنها لاتريد مغادرة أمريكا

وهنا أمر فاروق الذى أعطى والدته وأختيه أكثر من مليون دولار كمصاريف للرحلة الكبرى إلى أمريكا أمر أسرته أن ترجع إلى القاهرة ورفض الزواج رسميًا واتصلت به نازلى شخصيًا كى تصل إلى قلبه وقالت : (كنت أحاول أن أثير مشاعره لكى يفهم أن ذلك الأمر يعنى سعادة أخته) ولكن فاروق كان له رد فعل ضد إرادة الملكة الأم . سحب جواز سفر رياض غالى الدبلوماسى واتهم أمه بالتبديد وأرسل إلى إمام جامع (سكر أمنتو) الذى يقع بكاليفورنيا وهو الجامع الوحيد فيها يحلفه بالامتناع عن تأدية مراسم هذا الزواج ولم تنزعج الملكة نازلى حينما وافق إمام الجامع (حسن النهاوند) على طلب الملك فقد قامت بإخبار الصحافة من فندق فيرموند أن الزواج سيتم وأن هناك إمامًا سيهبط من السماء ليجرى مراسم الزواج كان هناك صراعًا حقيقيًا بين فريق القاهرة بقيادة الملك فاروق وفريق سان فرانسيسكو بأمريكا بقيادة الملكة نازلى كل من الفريقين يريد أن يحسم هذا الزواج .

وحسم فريق سان فرانسيسكو الموقف بعد أن عثر على مبشر باكستانى مسلم اسمه (بشير أحمد) وافق على إشهار إسلام رياض غالى وعلى عقد قرانه على الأميرة فتحية طبقًا للشريعة الإسلامية وصدرت لإدارة الفندق بسان فرانسيسكو أن تزيد فى الخدمات الأمنية على الأميرة فتحية واعتكفت الملكة نازلى بالفندق وطبعت بطاقات الدعوة الخاصة بحفل الزفاف وتقرر عقده يوم ٢٨ مايو عام ١٩٥٠ وأرسلت إلى حوالى مائتين مدعو ولكنه تبين أنه يوم أحد وأنها قد راعت فيه إجازة ضيوفها الأمريكيين ولم تراعى التقاليد المصرية التى تعارفت على عقد القران فى مساء يوم الخميس وأدركت بذكائها أن اليوم الذى اختارته للزواج سوف

يغرى خصومها بتأويلات كثيرة فقررت تقديم الموعد من الأحد إلى الخميس ٢٥ مايو عام ١٩٥٠ وذكرت فى الدعوة أن ذلك تبركًا بليلة الجمعة وأرسلت بطاقات تلغرافية جديدة بالموعد الجديد .

ومنذ الصباح الباكر لذلك اليوم زينت قاعات وردهات الفندق بالزهور وقبل الخامسة بقليل كانت جميع القاعات قد ازدحمت بالمدعوين وجاء الإمام من باكستان ولم يلتفت إلى لعنات فاروق وكان من بين الضيوف (ايدبولى) وهو المليونير صاحب شركات البترول الذى تربطه علاقات حميمة بالرئيس ترومان وكذلك ابنه الحاكم ايريل وأرمن وزينت القاعة على شكل غابة من الجاردينيا البيضاء بها شجرة مجنوليا كبيرة وفى الخامسة تمامًا ظهر رياض غالى وكان يرتدى بدلة بنجور ويبتسم فى سعادة وقد وضع على معطفها وردًا برتقاليًا وبعض النباتات البيضاء أما العروس فقد ارتدت فستان زفاف عاجى اللون مصنوع بفرنسا مزينًا بالترتر معه طرحة شفافة وريشة من ريش طائر عصفور الجنة حول الصدر وللثوب ذيل طوله عشرون قدمًا أما الملكة الوالدة فكانت ترتدى ثوبًا للسهرة من الحرير الأزرق مفتوحًا من الأمام حتى الصدر وينتهى بمشبكين كبيرين من الماس إذ أنه لم يكن له أكتاف وقد حلت صدرها وأذنيها ويديها بطاقم الماس الشهير واتجهوا جميعًا إلى القاعة الكبرى وسط حشد من المدعوين والمصورين والصحافيين وقد تأبط الأفندى فتحية من الجهة اليسرى والملكة الأم من الجهة اليمنى . وأعلن رياض غالى أمام المبشر بشير أحمد الباكستانى أنه مسلم وتلى الشهادتين ثم وضع المأذون يد الأميرة فى يد الأفندى وقال لها قولى زوجتك نفسى على كتاب الله وسنة رسول الله وعلى الصداق المسمى بيننا فرددت

الأميرة ما سمعته بصوت به ارتعاش وقال للأفندى قل لها قبلت زواجك على كتاب الله وسنة رسول الله فردد رياض غالى دون أن يرتعش له صوت وعند شجرة المنجوليا خطب الإمام الباكستانى خطبة زواج طويلة تضمنت تعليقًا واحدًا غير مباشر عن الملك فاروق فقال الإمام (أنه ضد الإسلام أن يقوم رجل بوضع العراقيل فى طريق من يريد الزواج بمن يحب) . وقال أيضًا عبارة (الإنسان يستطيع أن يجد الجنة تحت أقدام أمه) وبعد أن تمت مراسم العقد ، أحجم غالى عن تقبيل عروسه الجديدة متبعًا بذلك التقاليد الإسلامية وقام كل الأشخاص بتبادل القبلات وصاحت نازلى قائلة ثلاثة مرات : أنا سعيدة للغاية لقد كنت الملكة لفترة طويلة وأعتقد أن الميزة الأولى فى الملكة أن تكون امرأة صلبة . ثم قامت ورقصت مع كل السلك الصحافى تقريبا وقام رياض غالى فقدم إلى زوجته هديتين ثمينتين إحداهما خاتم الزواج وهو من البلاتين ومرصع بثلاث قطع من الماس وكتبت عليه كلمة أحبك بالإنجليزية أما الهدية الثانية فكانت مشبكًا متوسط الحجم من البلاتين أيضًا وما حدث بعد ذلك أن قام فاروق فى القاهرة بتوقيع مرسوم ملكى يلغى زواج أخته ويحرمها من لقبها ومن كل المميزات الملحقة بهذا اللقب بل إنه أمر بمصادرة كل أملاك نازلى إلا إذا عادت إلى مصر خلال ستة أيام بل إن المجلس الملكى برئاسة الأمير محمد على اعتبر الملكة نازلى قد تحدت النظام الملكى وأصول الدين وكرامة البلاد وكبرياء العائلة الملكية ولم تعد نازلى أبدًا إلى مصر . غادرت سان فرانسيسكو على السفينة برزدنت ولسون وهى مرتدية حلة شانيل وعقدًا من الزهور حول عنقها ، وكان معها على ظهر السفينة العروسين متوجهين ثلاثتهم إلى هونو لولو لقضاء شهر العسل .

وعندما سألت عن تجريدها من ممتلكاتها ولقبها ملكة لمصر أجابت بمرح من المحتمل أن أبحث عن عمل وابتسمت .

ومثلما أحدث زواج الأميرة فوزية من شاه إيران نقاشًا وانقسامًا بين الفرق الإسلامية حول السنة والشيعة حدث نفس الشيء فى زواج البرنسيسة فتحية والأفندى غالى إلا أنه فى هذه المرة كان الانقسام أشد والحوار أكثر احتدامًا وأطلت برأسها الفتنة الطائفية بالقاهرة فى الوقت الذى كان فيه الرقص حتى الصباح فى سان فرانسيسكو وبسرعة أدخلت الملكة نازلى نفسها فى هذه الأحزاب وأطلقت صاروخ مدفعيتها الثقيلة بحديث طويل لعلى أمين قالت فيه : إن فتحية لم تخرج عن التقاليد الملكية بزواجها من شاب مسيحى وبخاصة أن هذا الشاب أعلن إسلامه فقد جاء فى وقت من الأوقات ضابط مسيحى فى الجيش الفرنسى هو الكولونيل سيف والتحق بخدمة محمد على الذى أعجب به فاعتنق الإسلام وأصبح اسمه سليمان هذا الضابط هو جدى أنا وجد فتحية وجد فاروق ومع أن هذه الحقيقة لم تكن سرًا إلا أن التذكر بها فى هذا المناخ المتوتر كان بمثابة وضع الزيت على النار وقد بدأ العوام فى الشارع المصرى يحذفون كثيرًا من رصيد الأسرة الملكية بمجرد معرفتهم بهذه الحقيقة حتى أن رئيس الوزراء مصطفى النحاس قد أراد أن يلم الشمل بين المسلمين والمسيحيين فقال فى افتتاح مجلس الوزراء [إن الجميع يستنكرون ذلك حتى أهل رياض غالى نفسه وزووه] ورغم انغماس الصحف فى الحملة على الزواج فقد حاولت أن تقاوم الأعراض الطائفية وتركز على أن جميع الأديان تلعن الرجل الذى يترك عقيدته على أساس دنيوى وتحاول أن تظهر رياض غالى بالصائد فى الماء العكر بأن تخرجه من الأقباط

وتخرجه من المسلمين فهو خرج على الأقباط ليتزوج وتظاهر بالإسلام ليخدع فتاة صغيرة ولكن تلك النداءات الإنسانية الزاعقة لم تفلح فى إخفاء حقيقة أن الاعتراض على الزواج قام منذ البداية على الاستعلاء من أن تتزوج أميرة بأفندى حتى أخذ شكل الاستعلاء الإسلام على المسيحية والمسلمين على الأقباط وأن الصحافة قد حاولت أن تكون مع الملك فى ذلك الوقت فتعصبت للدين بشكل غير مباشر فكتب محمد التابعى مثلاً فى مجلة آخرساعة (أجل نحن متعصبون) وفى محاولة لإعادة الحادث إلى حجمه كتب سعد صادق أن حادث رياض غالى هو حادث شاب مصرى طائشًا يجب ألا يمس الإسلام والمسيحية فى شىء ووسط هذا الغليان تحرك الأمبا (بوساب الثانى) وزار قصر عابدين على رأس وفد من كبار الأقباط للتعبير عن أسفهم عما جرى واعتذاراً عن جريمة لم يرتكبوها وإنما هو تهور من شاب مسيحى خرج عليهم وهو رياض غالى ولم يعجب هذا التصرف الأقباط واعتبروه بهذه الزيارة قد اعترف بجريمة قبطية لم يرتكبها أحد وتسأل الصحفى موسى صبرى وقتها هل مطلوب من الكنيسة أن تعتذر عن كل جريمة يرتكبها قبطى من جرائم القتل والسرقة ويعتبر كل الأقباط مسئولون عنها .

أما الصحفى سامى داوود فقد طرح القضية كلها من منطلق آخر ماذا كان على الكنيسة أن تفعل لو أن الملك قد وافق على زواج رياض غالى بعد إشهار إسلامه ماذا تفعل الكنيسة حيال خروج أحد أتباعها عليها واعتناقه دينًا آخر من أجل غرض دنيوى ؟! واعتبر بذلك أن هذه الزيارة من الأمبا بوساب ليس إلا ترضية للملك وليست التزامًا دينيًا وتسأل سوالاً آخر ماذا يحدث لو وافق الملك على الزواج واعترضت

الكنيسة ؟ بالطبع سيقول المسلمون كيف تعارض الكنيسة فى إسلام قبطى رضينا بزواجه من شقيقة ملك البلاد وبالتالى قرر أن الكنيسة تقع فى حرج دائم وفى جميع الأحوال وأنه مع هذه الزيارة بشرط أن لا يكون لها معنى دينى .

أما إحسان عبدالقدوس فقد نظر إلى القضية بأنها ظاهرة وقدم مئات الحالات اعتنقت فيها زوجات مسيحيات الدين الإسلامى لمجرد احتفاظهن بنصيبهن من إرث الزوج وحالات اعتنق فيها الإسلام أزواج مسيحيين بهدف تطليق زوجاتهم المسيحيات وحالات أخرى اعتنقت فيها نساء مسلمات الدين المسيحى ليتزوجن من رجال مسيحيين ثم ضرب مثالاً بأسرة أجنبية دخلت مصر وأعلنت الإسلام بقصد ترويج تجارتها مع أن هذه العائلة لا تزال تؤدى فروض الدين المسيحى كاملة ولا تزال النساء فيها تحمل على صدرها صليب من الذهب ولكن كان حصولهم على الجنسية المصرية أسهل وهم مسلمون وطالب فى نهاية مقالاته التى تعددت بألا يعتد بتغير الأديان لأهداف دنياوية وأن ينظر فى كل حالة من هذا القبيل على حدة وتفحص فحصًا تامًا وتدرس مخافة من أن يكون الدين قد اتخذ ستارًا لأغراض دنياوية دنيئة .

وظهرت مقالة أخرى لأحمد زكى عبدالقادر يقول فيها أن مصر دولة إسلامية وبالتالى فالنظام العام فيها يسمح بالدخول فى الإسلام ولا يسمح بالخروج من الإسلام لأى دين آخر وبالتالى فالقضية كيف نقبل المنافقين الذين يدخلون ديننا لأغراض دنياوية أو لأخرى دنيئة وبالطبع شعر بعض الصحافيين أن هذا الكلام يعنى عدم المساواة بين المواطنين المسلمين والمواطنين المسيحيين داخل الوطن فظهرت مقالات أخرى فى

جريدة الوطن تقول أن هناك فصلاً بين الدين والدولة وأن مصر دولة قانونية وبالتالى فالكل مواطنين يحكمهم الدستور والقانون واستمرت حملة النبش فى الجرح ووجد فيها البعض فرصة لنشر الغسيل القذر للأسرة المالكة وظهر التنكيت والتبكيت فى المقاهى وعلى طول شاطئ النيل فى قيظ صيف القاهرة . وتدخل كريم ثابت باشا المستشار الصحفى للملك فى تغيير دفة الحملة وتوجيهها لأشياء أخرى كثيرة .

وليس أمامنا إلا تتبع الشكل السينمائى فى الرواية بأن ننتقل بسرعة من الجدل القائم فى القاهرة إلى طرفى الزواج الضاحك الباكى . الأسطورى الجسور ما الذى حدث وما الذى تم وهل أصابته اللعنة الإغريقية التى تصيب كل الأفعال الجسورة التى يأتيها الإنسان ؟ هل حدث لفتحية وغالى ما حدث بتنتالوس حينما سرق النار فعاقبته الآلهة فوق جبال الألب بالعطش إلى الأبد والخوف إلى الأبد والعذاب إلى الأبد .

إن تنتالوس عاقبته الآلهة بأن يرفع حجراً حتى القمة وقبل أن يصل إلى القمة ينزلق الحجر إلى السفح فيعود لرفعه هكذا إلى الأبد وأن يحفر فى الأرض حتى يجد الماء وحينما يشرب ينحسر الماء وهكذا إلى الأبد وهذا ما حدث مع رياض وفتحية !!

تغيرت معاملة رياض مع فتحية ونازلى لدرجة كبيرة لمجرد أن خلعت الثورة فاروق عن العرش وأخذ ينفق ببذخ على لياليه الحمراء وبلغ به الأمر حد الوقاحة والإهانة بتوجيه أفظع السباب للأميرة وبعد أن أنجبت فتحية أولادها رفيق ورؤوف ورانيا كان مطلوباً منها أن تعمل بنفسها لتتقوت بعد أن تدخل رياض غالى فى إدارة أموال الملكة والأميرة

ومما زاد الطين بلة أن رياض غالى أصبح يقيم علاقات غرامية فاضحة مع بنات الهوى والساقطات بل أنه أدمن الخمر والقمار والحشيش والأفيون وعندما وجد رياض غالى إصراراً من جانب فتحية ونازلى على امتلاك المجوهرات والممتلكات وعدم تنازلهما عنها انتقل من السب إلى الضرب فتركت فتحية له البيت إلى الإقامة فى الفنادق وحلت القطيعة محل الوفاق ورأت الأميرة فتحية والملكة نازلى أن رياض غالى الذى كان ملاكًا لهما قد تحول إلى شيطان ضدهما وقررا أن يخرج من حياتهما سويًا وانتهزت نازلى واقعة قيام رياض غالى بمحاولة الاعتداء بزجاجة شمبانيا فى ملهى ليلى على فتحية ومحاولته قتلها لأنها رفضت أن تدفع الحساب وسجلت الواقعة بمحاضر البوليس فطلبت رفع دعوة قضائية مستعجلة بالطلاق وتم الحكم لها بالطلاق فى ١٣ أبريل عام ١٩٦٥ ومع ذلك لم تنتهى المتاعب بل ازدادت حدة وضراوة وليس أمامنا إلا تحديد التواريخ للأيام الأخيرة لحياتهما معًا .

فى ديسمبر ١٩٧٦ حصلت الأميرة فتحية على عمل لها كعاملة نظافة لأرضية المكاتب مما عجل بنهايتها !! كانت وقتها فتحية فى الخامسة والأربعين من العمر ونازلى فى الثمانين وفى نفس الشهر كانت الأم والإبنة قد مثلتا أمام القضاء لإعلان إفلاسهما وانتقلا إلى شقة فى منزل غرب لوس أنجلوس إيجارها متواضع للغاية فى منطقة مكتظة بالسكان خليط من اليابانيين والمكسيكيين والعمالة اليومية وبالرغم من ذلك فإن نازلى قد صاحبت فتحية لاستشارة عرافة هوليود الشهيرة (كبرينا كتندا) والتى حذرتها من رجل قريب منهم يعمل بائعًا فى محلات للمجوهرات

وكانت تقصد رياض غالى (الذى كان وقتها قد أضاع الثروة وعمل عند غيره) .

وفى ١٠ ديسمبر عام ١٩٧٦ كان رفيق غالى يعيش وحيدًا مستقلاً بحياته عندما أجرى مكالمة لأمه ولم يتلق ردًا . عرف يقينًا أن شيئًا خطيراً قد وقع ، وعندما وصل إلى شقة أمه وجدها مقتولة وغارقة فى بركة دماء بسبب رصاصة اخترقت رأسها ، وإلى جوارها كان رياض غالى ينزف بغزارة وهو فاقد للوعى من جرح بالرأس أحدثه بنفسه وما زال مسدسه فى يده .

وعندما أنقذ غالى ، قدم للمحاكمة بتهمة القتل غير المتعمد لإنسان وذلك لموت الأميرة السابقة وقد قضى عامًا فى السجن ولكنه توفى بعد ذلك بعدة أعوام .

وفى يونيو عام ١٩٧٨ ماتت الملكة نازلى عن عمر ٨٣ عامًا وكانت وابنتها قد تحولتا إلى الكاثوليكية ، وقد دفنت بعد احتفال بسيط فى كنيسة الابن شيفر فى بيفرلى .

أما أوراق التحقيق التى كانت مع رياض غالى فقد كان فيها أن هناك محادثة تليفونية جرت بينه وبين فتحية بعد أن توفيت والدته طالب فيها من فتحية الحضور لتتسلم المتعلقات الخاصة بوالدته قبل رحيلها حيث كانت تقيم معه بعد أن تركته فتحية وطلب منها أن توصل ملابسها وحاجياتها إلى أهله فى اليونان حينما عرف أنها ستتوقف هناك قبل رحلتها المقررة إلى مصر وذهبت فتحية بالفعل بعد أن استأذنت أمها الملكة نازلى وهناك حدثت الجريمة حيث كان مخموراً وبعد مشاجرة حادة اكتشف أنه أطلق عدة طلقات نارية عليها وهكذا انتهت البرنسيسة

والأفندى وبتشريح جثة فتحية تبين أنها تلقت أربعة أعيرة نارية وأنها كانت جالسة القرفصاء بالقرب من منضدة ببهو شقتها وأنها كانت ترتدى بنطلون وبلوزة ولم تكن تتحلى بأى مصوغات ماسية أو ذهبية . وهكذا تحققت نبوءة العرافة الأمريكية (كبرينا كتندا) التى حذرت الملكة نازلى وابنتها البرنسيسة فتحية من الأفندى رياض غالى . وجاءت نهايتها إغريقية على طريقة كتابات شكسبير قتلها حبيبها الذى من أجله باعت كل شىء وانتهت حياتها غريبة فى أرض غريبة فى الوقت الذى كانت قد حددت فيه العودة إلى مصر بل فوق ذلك لعبت الأقدار لعبتها فإذا بغالى كومبارس التاريخ يقتل الأميرة ويسمح له التاريخ أن يعيش رغم كل محاولات فاروق لاغتياله أو خطفه عن طريق الحرس الحديدى الذى أنشأ من أجل ذلك الغرض . وهذا ما دفع الضابط سيد جاد أحد أقطاب الحرس الحديدى أن يقول لا أحد يستطيع أن يخطط للاغتيال ويضمن النتائج فقد أراد الملك قتل الأفندى فقتل الأفندى البرنسيسة أخت الملك ؟!!



٣

حافيــة ...
علـى جسـر الـذهـب !!

كانوا يسمونها « راقصة مصر » لأنها رقصت أمام الملك فاروق في (دوفيل) على شاطىء الريفير الفرنسية ! وكانوا يسمونها « الراقصة الحافية » لأنها خرجت عن المألوف ورقصت حافية في الحفلات والأفلام ومشيت وراءها بعد ذلك جميع الراقصات !

أما لقب « راقصة مصر الرسمية » فقد منحه لها فاروق بنفسه . ومن يومها صارت الراقصة الوحيدة التي تدخل قصر عابدين وترقص في حفلات الملك . الخاصة . . والعامة !! مع أن تحية كاريوكا سبقتها ورقصت في قصر عابدين في زواج الملك فاروق من الملكة فريدة .

أنهما سامية جمال . . الفراشة الفرعونية للرقص الشرقي .

فلاحة من قرية (ونا) بمركز الواسطة ببني سويف ولدت في ٢٧ مايو ١٩٢٤ وهي أحد مواليد برج الثور الذي تحكمه الزهراء وكل مواليده من أصحاب المواهب في الأدب والفن وحب الحياة .

وفي بداية الخمسينات عادت إلى مصر . في وقت جاءت فيه الثورة وخرج الملك . . لتجد سؤال على لسان الجميع يقابلها ما هي : قصتك مع الملك فاروق ؟! هل تزوجتي من الأمريكي عبد الله كينج لتهربي منه ؟! لماذا لم تتزوجي من « فريد الأطرش » ؟! من الراقصات اللاتي كن معك في قصر عابدين ؟!

وفي سنة ١٩٥٤ توجه الصحفي الكبير « م . ص » إلى شقتها في عمارة (ليبون) بالزمالك وقدم لها قلم فاخر ومجموعة أوراق وقال لها : يا ريت تكتبي مذكراتك وضعي شروطك ولن نختلف ، وقاطعته قائلة : لكني يا أستاذ لا أعرف القراءة والكتابة مع أنني أجيد الإنجليزية

والفرنسية جيداً ، وأضافت من خلال ضحكتها العالية لا تندهش أو تتعجب فإن حياتي مليئة بما هو أعجب وأكثر غرابة .

وتألق وجه الصحفي الكبير لا بأس لتحكى هى ويكتب هو . . قولى يا سامية هانم ؟! وقالت : ولكني ليس عندى ما أقوله عن جلالة الملك فاروق ؟! وأرسل لها فى اليوم الثانى أحد الصحفيين الصغار فأهم ما عندها لا تريد أن تقوله(الملك فاروق !!) .

وبدأت تروى حكايتها منذ البداية . . ولكنها حكاية البنت الفلاحة . التى استطاعت أن تنقل اسمها من دفاتر الأحوال المدنية إلى أفيشات شوارع الفن فى الأربعينات والخمسينات من (زينب محمد خليل) وهو اسمها إلى سامية جمال . ونشرت الصحف والمجلات الفنية حكايتها على لسانها :

« أبى نزح من بنى سويف إلى القاهرة بعد ولادتى بأسبوع واحد ، وأقمنا فى بيت قديم بجوار جامع سيدى الحسين . ووالدى تزوج من اثنين : الأولى فلاحة من الشرقية وأنجب منها أربعة صبيان وبنت ، أما الزوجة الثنية فكانت أمى مغربية الأصل ورزقت هى الأخرى بولد واحد وبنتين أنا أصغرهما ، فأنا آخر العنقود » .

« ماتت أمى . . السياج الذى كان يحمينى من مؤامرات زوجة أبى الأولى التى أصبحت هى الآمر الناهى فى البيت أثناء غياب أبى . أما فى وجوده فهى تتفنن فى إثارته ضدى ثم ينهال على جسدى النحيل ضربا بالعصا حتى أفقد الوعى ، هربت من البيت إلى أختى المتزوجة وعشت معها أعواماً طويلة ثم انتقلت إلى الحياة مع جارة لنا كانت تسكن فى نفس

الشارع . . كان واحد من أقاربها يعمل بفرقة الراقصة «بديعة مصابنى» وعندما رأنى شعر بأنى امتلك مواهب كثيرة ترشحنى وتؤهلنى للعمل بالفرقة وبالفعل كان أول ظهورى فى رأس السنة لعام ١٩٣٩ » .

« أصبحت تسليتى الوحيدة الجلوس فى الشباك المطل على المقهى استمع للراديو إلى أن خطف أذنى صوت جديد هز كل كيانى كان هو صوت فريد الأطرش فى أغنية (باحب من غير أمل) وتمر الأيام ويزداد حبى لصوته الجميل وعشقى لأنغامه حتى اشتريت مجلة فنية وجدت صورته فيها فاحتفظت بها وأخفيها فى مكان أمين لأراها كل يوم . وهكذا تعلقت بفريد قبل أن أراه أو أعمل معه !! وفى فيلم (انتصار الشباب) غمرتنى فرحة غامرة لأنى اشتركت فى رقصة جماعية ورأيت فريد الأطرش ، وتنبه فريد لى بعد فيلم (تاكسى حنطور) ومثلت معه فيلم « حبيب العمر » وفيه كان مولد حبنا الذى عاش واستمر سنوات عديدة ولكن شاءت الأقدار أن ننفصل فى هدوء .

وسألها الصحفى الصغير قاطعًا الاتفاق الذى تم بينها وبين (م . ص) أن تقول ما عندها ولا يسألها أحد . لماذا لم تتزوجى فريد الأطرش ؟! وردت بلا اعتراض : لقد عشت مع فريد الأطرش ٨ سنوات لا يربطنا إلا الحب . فقلت له أعتقد أن الأوان قد جاء لنتزوج . . فرمانى بكلمة أصابت قلبى . . وأقفلته قال : لن أتزوج من راقصة !!

« وسارت بى الحياة من نجاح إلى شهرة إلى نجومية وعرفت خلال المشوار الطويل شخصيات عظيمة وأمراء وباشوات وكبراء لكنى لم أشعر بالحب نحو أحدهم حتى تعرفت إلى زوجى الأول وكان أمريكيًا اسمه

« شبردكينج » أسلم وتزوجنا وسافرت معه فى رحلة زواج إلى أمريكا ولكن زواجى لم يستمر طويلاً (سنتين) عدت بعدها لبلدى لأستأنف حياتى الفنية . . ويذهب (محمد وجدى) لها والغريبة أنها تفتح قلبها وذكرياتها له . .

لقد سألها : هل فاروق هو السبب فى أن يتركها فريد ؟! هل هى التى فضلت الملك على الموسيقار ؟! قالت له : لقد كان هناك عمدة ثرى زبونًا فى نفس الوقت بصالة بديعة أعجب بها وعرض عليها الزواج رسميًا وليس العرفى . ولكن قلبها كان وقتها مع (فريد الأطرش) . . ولكن اللى يحب مايكرهش ذى ما بيقولوا . . فقد وقف هذا العمدة معى وكان يحضر ومعه زبائن كثيرة من أصحابه ويهللون ويصيحون يطلبوننى ، ولما كانوا يمثلون موردًا ماليًا للصالة فقد قرت بديعة مصابنى أن أرقص يوميًا (رقصة منفردة) وكان للقرار أثره السيء فى نفوس الزميلات ، حتى أنى ذهبت يومًا لمنزل الست بديعة وطلبت منها أن تقبل اعتذارى عن الاستمرار معها من كثرة مقالب الزميلات ، حتى أن تحية كاريوكا اشتركت مرة فى إحدى هذه المقالب وقطعت أجزاء من بدلة الرقص قبل نمرتى بلحظات !! ولكنها رفضت وضاعفت أجرى .

المهم أنه عندما فكر فريد فى فيلم « حبيب العمر » واحتاج لفلوس ، تقدم العمدة وعرض عليه الدخول شريكًا فى الإنتاج بشرط واحد (أن أكون أنا بطلة كل أفلام الشركة) ولكن الشركة انفضت بعد ثلاثة أفلام !! بسبب دسائس فؤاد الأطرش أخو فريد عن (العمدة) .

ولم يقف فؤاد عند هذا الحد بل تدخل فيما بينى وبين فريد عاطفيًا . وجاءنى وقال لى أنت فين مكانك من أمير من أسرة الأطرش . وأعتقد أنه هو السبب فى عدم زواجنا . فقد كان مؤثرًا جدًا على فريد وأخته أسمهان .

يعنى ولا كلمة ولا حرف . . عن فاروق !!

ويكتب محمد وجدى ذكرياته التى نشرها مؤخرًا فى مجلة « كلام الناس » [ورغم صداقتنا كانت تصر على الصمت والاعتذار عن كتابه مذكراتها . . وعندما كانت فى أمريكا - خلال فترة أقامتها - سجلت خواطر ، ولأنها تجهل القراءة والكتابة فقد طلبت سكرتيرة تجيد اللغة العربية وقامت بإملاء صفحات من خواطرها بعنوان « زوجى العزيز » وتحدثت عن الرجال الذين عرفتهم فى حياتها ولكنها بعد عودتها احتفظت بهذه الخواطر فى دولابها الخاص ورفضت نشرها ورغم أن السكرتيرة سربت اسم ١٧ شخصية عرفتها سامية جمال . . ألا أنه لم يكن من بينها فاروق ولا بليغ حمدى ولا رشدى أباظة وإذا كان من الممكن أن يفهم سبب عدم زكر الأخرين لأنها لم تكن عرفتهم بعد . فإن عدم زكر فاروق يعنى أنها لم يكن بينها وبينه علاقة واضحة محددة] .

أما الفنانة تحية كاريوكا والتى عرفت الفنانة سامية جمال منذ ٥٥ سنة أى منذ ١٩٣٩ بكازينو بديعة مصابنى فتقول : أنا وسامية اشتركنا فى حاجات كتير فقد طورنا الرقص الشرقى وهربنا بالزواج فى أمريكا وتزوجنا معًا رشدى أباظة (بالطبع لم تذكر أنهما أيضًا ارتبطا بالملك فاروق) .

ثم تذكر أن سامية كانت مختلفة عن معظم الراقصات فهى ترقص بشياكة ولها طلعة مميزة على المسرح ثم أنها أدخلت الكثير من التعديل على بدلة الرقص فجعلتها بألوان قوس قزح وأضافت إليها (السيرما) - تطريز معين - وأذكر أننا ومعنا رشدى أباظة سافرنا لمدة شهر معًا إلى لبنان والناس كانت تستغرب أنه لا يوجد بيننا إحساس بالضغينة أو الحرج . لقد كنا أخوات وأكثر ثم تذكر شهادة على درجة من الأهمية « كانت سامية عاطفية جدًا وأذكر أنها تألمت وكانت صدمتها بالغة حينما صدق فريد الأطرش كلام أخيه عنها وكانت النتيجة أنهما تركا بعضهما بعد قصة حب وسنوات طويلة من العمل سويًا » أى أنها تؤكد ما قلته سامية نفسها لم يكن فاروق سببًا فى الهجر بينهما !!

وحينما توفت سامية جمال بعد أن أجريت لها جراحة فى مستشفى مصر الدولى ثم استئصال تسعين فى المائة من أمعائها خلالها ، كان هناك تلغراف عزاء من « أمين محمد فهيم » سكرتير الملك السابق فاروق وتذكرت الصحافة الرجل وذهبت تسأله وإذا به يؤكد (أنه لم تكن هناك علاقة من أى نوع بين الملك وسامية ، وأن ما أشيع عن أن الملك أعجب بسامية لم يكن صحيحًا . وكل ما حدث أن فاروق كان يقضى الصيف فى جزيرة كابرى ، وكان يتناول العشاء فى أحد الملاهى الليلية التى تصادف أن كانت سامية جمال ترقص فيه وقد صفق الملك لها مع الجمهور بشكل عادى ، ولم يعاملها بشكل خاص ومن المعروف أن الملك فاروق حين ظهرت سامية جمال على المسرح الفنى فى الأربعينات كان مرتبطًا بفتاة فرنسية اسمها « سيمون دى لامار » وحينما غنت أمامه فى كابرى كانت علاقته متوطدة مع أنى كرييه) .

. . وقد استضافت مجلة فنية لبنانية وسمير صبرى صديقها المقرب ليتحدث عن زكرياته معها فقال : « أصيبت بصدمة بالغة حينما قال لها أحد أفراد أسرة فريد أنت فين مكانك من أمير من أسرة الأطرش ؟! وقررت أن تنجح عالميًا وذهبت إلى فرنسا وكانت هى الفنانة المصرية الوحيدة التى قدمت استعراضات هناك وكان يحضر هذه الاستعراضات الملك فاروق الذى أطلق عليها « راقصة مصر الأولى » وبالمناسبة هى لم يربطها بالملك فاروق آية علاقة سوى أنها كانت ترقص فى الاحتفالات والمهرجانات التى يحضرها » ولكن (مصطفى أمين) هو الذى كتب (٢٥) صفحة كاملة عنها وعن علاقة جسدية بينها وبين الملك فاروق فى كتابه الجميل (ليالى فاروق) . . وهو المرجع الوحيد لهذه الحدوتة التى تعتمد عليه الكتب الصفراء التى تكتب عن فضائح فاروق والكتب الحمراء التى يهمها حجرة نوم الملك !!

وقد كتبها بطريقة روائية اشتهر بها . . ولكنه لم يقل شاهدت أو تأكدت وإنما قال سمعت من فريد الأطرش أى أنه نقل رواية من لسان فريد . . أما فريد فيقول : لقد قالت لى سامية نفسها !! مع أن سامية جمال ولا كلمة ولا حرف عن فاروق !!

ولهذا وضع الرواية بين قوسين ونحن نفعل مثله وننقل عنه . . وللقارئ حرية التفكير .

يقول مصطفى أمين :

ذات يوم دخل « فريد الأطرش » إلى مكتبى شاحبًا أصفر الوجه ، كرجل لم ينم منذ عدة أعوام . . وكان يرتجف كالخائف . . وكان أشبه بجثة هامدة تجلس على كرسى . .

قلت له : مالك يا فريد .

قال : خطفها .

قلت : مين خطف مين ؟

قال وهو ينظر حواليه فى رعب : الملك خطف سامية جمال !!

وأردت أن أعرف منه التفصيلات ، وأفهمته أن الصحف كالقسيس . . وأنه يستطيع أن يعترف للصحف مطمئنًا إلى أن الاعتراف سر مقدس ، لن يخرج من فم الصحفى وقلت له :

- إنى أعطيه كلمة شرف ألا أقول شيئًا مادام فاروق ملكًا . .

قال فريد الأطرش : يعنى إلى الأبد ؟!

قلت : من يعرف ما تحسبه مستحيلاً اليوم ، قد يبدو ممكنًا بعد أيام . .

وقام « فريد الأطرش » إلى الأبواب فأغلقها جيدًا ، ثم اقترب منى وراح يهمس فى أذنى بسره الخطير وكانت قصة مروعة . . كان ذلك فى عام ١٩٤٩ .

ولأن القصة تستغرق ٢٥ صفحة من الكتاب بهذا الأسلوب الروائى الجميل فأنا بعد هذه البداية ألخصها .

الزواج المستحيل :

سامية : أسمع يا فريد أنا جئت لأطلب إليك أن تجيبنى بصراحة هل سنتزوج أم لا ؟!

فريد : لماذا هذا الموضوع الأبد ؟ أننا نحب بعضنا ، ونحن أسعد حالاً من جميع المتزوجين الذين نعرفهم . .

سامية : لقد أعطيتك مهلة عدة سنوات ، وانتهت المهلة ويجب أن تقـرر .

ثم التفتت إلى فريد فجأة وقالت : باى . . سأرقص الليل فى قصر عابدين .

وبقى (فريد الأطرش) ينتظر عودتها ، ولكنها لم تعد . . وبدأ نور الفجر يشقشق . . وكانت سامية تقيم فى بيت فريد الأطرش ، وكانت لها شقة أخرى استأجرها لها فريد فى الزمالك وذهب فريد إلى بيتها فى الزمالك ، ووقف فى نافذة البيت ينتظرها وحوالى الساعة الحادية عشرة صباحًا وقفت سيارة زرقاء . ونزلت منها سامية جمال .

ولمح فريد قائد السيارة فإذا هو (أنطونيو بوللى) مدير الشئون الخصوصية فى القصر الملكى .

حكايتها مع فاروق :

صرخ فريد الأطرش وأمسك يدها يضغطها ويلوى زراعها ويقول لها : قولى ، ماذا فعلت مع الملك وجلست سامية تروى قصتها :

« كانت الحفلة الساهرة فى القصر ، وكان « فاروق » جالسًا بين حاشيته يضحك ويلعب ويقهقه ، وكان فى كل يد كأس ، وكان فى يد « فاروق » كأس من شراب أخضر قال لسامية إنه نعناع . .

وكـان حـول « فـاروق » بضع نسـاء يتطلعـن إلى بعض فـى غـيـره باسـمه، يتبـادلن القبـلات وكـأنهن يتبـادلن الصـفـعات ، وكـان فـيـهن الجميلات وفيهن الدميمات ، وكانت أثوابهن جميلة وغـالية ، ولكن سامية لم تلبث أن رأت ثوبها العادى أكثر جمالاً وأغلى ثمنًا . .

وما لبثت « سامية » أن شعرت أنها الخيار المخلل الذى سوف يفتح شـهـيـة « فـاروق » ، رأته بعينيه وهى ترقص ، فإذا التقت عيناه بعينيها تظاهر بأنه غـافل عنها وهو يراها ، وأحسست سامية بسعادة لأنها تنتزع الملك السابق من كل هؤلاء وفجأة مال عليها « فاروق » ، وقال :

- هل سترقصين ثانية ؟

قالت سامية : كما تأمر . .

وفوجئت « سامية » بفاروق يقول لها :

- لا أريد أن ترقصى . .

ثم أشار إلى الخدم وقال :

- اطلبوا من التخت أن ينصرف !

وظنت « سامية » أن هذا إيذان لها بالإنصراف ، وتهيأت لتقوم ! . وكان يبدو عليها التعاسة ، أنها لن ترقص مرة أخرى . .

ولكن « فاروق » مد يده إليها ، وأمسكها فى يده وقال :

- التخت يذهب فقط . أما أنت فسوف تبقين . .

ثم مال « فاروق » عليها وقال لها :

- سأتركك الآن ، وسيخبرك « بوللى » بما يجب أن تفعليه . .

وأقبل بوللى على سامية ، يدعوها إلى الركوب فى سيارة «فاروق» ورأت « فاروق » يجلس إلى عجلة القيادة ، ويفتح لها الباب . . وأسرعت تجلس إلى جواره فى المقعد الأمامى وكأنها تحلم .

واقتربت السيارة من مدينة حلوان فأشار لها « فاروق » إلى بيت على شاطئ النهر ، وقال لها :

- هذا ركن فاروق . .

سأصحبك إلى كل السهرات ، سأجلسك بجوارى فى المجالس ، سأجعلك راقصتى الرسمية ، سأجبر باشوات هذا البلد أن يحنوا رءوسهم لك ، سأجعلك تشعرين أنك أحسن من أى سيدة فى مصر . . ولكن بشرط . .

سامية : ماذا تطلب ؟

فاروق : أن تقولى لى كل شئ بصراحة ، ألا تكذبى علىّ ، أن تقولى لى أنك تحبينى عندما تحبينى ، وأنك تكرهيننى عندما تكرهيننى . .

سامية : أعدك بذلك . .

فاروق : إذن ، لماذا تشاجرت مع « فريد الأطرش » ؟

سامية : لأنه رفض أن يتزوجنى . .

فاروق : إننى مستعد أن أرسل لفريد الأطرش من يطلب منه أن يتزوجك بأمرى ، فإذا رفض فسوف أسجنه ، وأنفيه من مصر ، أو أقطع رقبته ، ، جذبها فاروق من يدها داخل ركن «فاروق» وقال :

- إن الجو بارد هنا !! تعالى نعود إلى القاهرة . .

وسار «فاروق» أمامها . .

وسارت «سامية» وراءه . .

ثم توقف «فاروق» قليلاً :

- ما رأيك فى أن نمضى الليلة هنا ، إنك ستنامين فى غرفة الملكة . .

وأمضت «سامية جمال» الليلة فى غرفة الملكة فى ركن فاروق ، استيقظت فى الصباح فلم تجد «فاروق» . .

وإنما وجدت «بوللى» يدعوها إلى أن يوصلها بسيارته إلى دارها . .

وقد شعرت «سامية» بخيبة أمل ، إن «فاروق» اختفى دون أن يودعها ، وبغير أن يحدد موعد لقاء جديد . .

ولم تفهم كيف يحدث هذا . .

لقد أمضى «فاروق» الساعات الطويلة يناجيها ويناغيها ، اعترف لها بحبه ، وركع على قدميه فى محراب غرامها ، فأغمضت عينيها ، لتدخل فردوسه الموعود ، ولما فتحت عينيها لم تجده . .

وبحثت «سامية» بعينيها فى أرجاء الغرفة عن العاشق الملكى فلم تجـده . .

وسألت بوللى : أين ذهب ؟ ومتى يعود ؟

وقال «بوللى» : إنه إذا ذهب لا يعود . .

ولاينسى (مصطفى أمين) أن يحبش روايته فينهيها بمفاجأة

ثم مضت الأيام ، وظن الذين حول «فاروق» أنه نسى «سامية جمال » . .

ثم قامت ثورة الجيش وخلع الشعب فاروق عن العرش . .

ودخلت جنة القصور الملكية مخدع «فاروق» لتبحث فيه عن مستندات وأسرار فاروق . .

وفتحت اللجنة الدرج المجاور للمخدع الملكى . .

فوجدت فيه مجموعة صور «سامية جمال» وبجوارها إسطوانة محطمة : إسطوانة الأغنية المشهورة : « إنك الإغراء . . إنك الإغراء»[(١)] .

---

(١) أغنية فرنسية تقول كلماتها « أنت جئت لى . وكنت وحيدًا . كان يجب أن أعرف ، إنك الإغراء . . إنك الإغراء . . هاك قلبى خذيه وقولى لن نفترق أبدًا فأنا عبدك . . عبدك أنت . . إنك الإغراء . إنك الإغراء » .

المهم أن هناك عدة صدف غريبة فى حياة سامية جمال فكل منهما هى وفاروق أحب حرف (الفاء) وكانت معها ميدالية مفاتيحه فضية عليها الحرف (F) وقيل أنها تقصد فريد الأطرش أما الناحية الأخرى من الميدالية ففيها قلب !!

ثم أنها فى يوم زواجها رزق الملك فاروق بحلمه الذى كان ينتظره من الملكة ناريمان رزق بابنه (أحمد فؤاد الثاني) كان ذلك فى صباح الأربعاء ١٦ يناير ١٩٥٢ - بينما كانت هى تعقد قرانها على المسيحى شبارد كينج الذى أعلن إسلامه عند زواجها وقال : ليس أسهل من ذلك فى مصر . . أشرب فنجان قهوة تركى مع شيخ من رجال الدين وأوقع قسيمة ، وحينئذ أصبح مسلمًا !!

وبينما كانت الطائرة تأخذها إلى أمريكا . . كانت مسرحية (لزقة إنجليزي) تعرض على مسرح الريحانى والناس تقف طوابير لترى فيلم (النمر) بطولة أنور وجدى ونعيمة عاكف وكانت جوارب النايلون معجزة نسائية فى شوارع القاهرة . وسمسون أكستر أشهر أنواع السجائر والفيلم الأجنبى «خذنى بعاري» يجد إقبالاً من الطبقة الأرستقراطية !!

ورغم أنى من المتسامحين مع سامية جمال والمشككين فى قصة غرامها بالملك فاروق من كل ما سبق إلا أنه قد جد جديد فى الأمر قلب الشك ١٨٠ درجة ليصبح يقين - فقد نشر فى باب (آخر لحظة) بمجلة آخر ساعة أنه اكتشف بعد وفاة سامية جمال أنها تركت فى أحد البنوك مجوهرات ثمينة قدرت بحوالى ٨٠ مليون جنيه - وأن هذه المجوهرات لاتزال داخل مصر فى فرع من فروع بنك مصر - وأنه تجرى محاولات

لتهريبها من البلاد وبيعها خارج مصر وأعلن الورثة أنهم لايعلمون شيء عن المجوهرات واتجه (ماجد الشربينى) محامى الورثة لإثبات أحقيتهم فى المجوهرات - ولكن سرعان ما قلبت الكراسى بين الورثة وتقدموا ببلاغ للنائب العام مطالبين بالتحقيق لمعرفة حقيقة المحاولات المشبوهة لتهريب المجوهرات وبخاصة أن هناك صعوبات بنكية وقانونية لاستلام المجوهرات - فى نفس الوقت الذى ظهر فيه شريط فيديو يعرض هذه المجوهرات وهى مكونة من ٩٦ قطعة وقد روج لها رجل أعمال لبنانى يقيم فى مصر وبالرغم من أن القصة تثير نهاية مفزعة فى حياة سامية جمال حول من هو الشخص الذى توجد المجوهرات باسمه فى خزائن البنك الآن ؟! وما هى صفته التى جعلته يدعى أنه الوريث الوحيد الذى له حق التصرف فيها ؟! وهذا يعنى أنه زوجها !! وما هى حقيقة الدور الذى يلعبه البنك فى إتمام الصفقة ؟! ثم ما هو تاريخ إيداع هذه امجوهرات خزائن البنك هل قبل وفاتها أم بعد الوفاة ؟! فإن ما يهمنا هو أن الفيلم الذى ظهر جعل أهل الخبرة يؤكدون أن ضمن الـ٩٦ قطعة ثلاث قطع نادرة إحداها بها الطابع الإيرانى ويرجح أن تكون للأميرة فوزية الأخت الكبرى لفاروق وبروشين كانا ضمن ممتلكات الأسرة الملكية !!

وحتى يتم إنهاء الأمر تبقى (قصة مصطفى أمين) أقرب القصص لتفسير حكاية الثلاث مجوهرات الملكية ؟!



٤

كاميليا اليهودية ...
التى حلمت بعرش مصر!!

كانت كاميليا (مارلين مونرو) الملك فاروق وهى كومبارس يهودية من الإسكندرية اسمها الأصلى (ليليان كوهين) وقد أصبحت فيما بعد نجمة سينمائية شهيرة ومثيرة ومثلما كان يجد (كينيدي) نفسه فى أحضان (مارلين مونرو) استطاعت كاميليا بذكاء أنثوى حاد أن تتجاوز كل عيوب فاروق وتقنعه أنه أشد الرجال فحولة فكان يجد نفسه حين يسمع صوتها بالفراش وكانت تجد نفسها عندما تحصل على الماس وهكذا كما يقول عادل حمودة فى كتابه (حكومات غرف النوم) : اختلط العجز بالعهر ، والجنس بالفساد ، والدعارة بالسلطة ، والسهر بالسياسة ، ومثلما كانت المخابرات ثالث مارلين كيندى كانت نفسها ثالث فاروق وكاميليا ،، !

وقد جندتها الحكومة الإنجليزية وتركتها ترصد أنفاس فاروق وتحصيها حتى أنها أصبحت عميلة من الطراز الأول وإذا كان أغلب الظن أن مارلين مونرو قتلتها المخابرات لأنها تعرف أكثر مما ينبغى فإن هذا الظن يسرى على كاميليا أيضًا فقد انفجرت طائرتها فى الجو وتناثرت بقاياها فوق صحراء مصر الغربية ! إن طراز فاروق هو طراز كيندى وطراز كاميليا هو طراز (مارلين) والقصة الأثيرة لدى الصحافة هى قصة (كيندى مارلين) وقصة (كاميليا فاروق) !!

فكاميليا هى فضيحة فاروق ، كما كانت مارلين فضيحة كيندى فهى امرأة ليست محتجبة أو تعيش فى الحرملك - أو لها جذور أو أصول تمنع نزواتها . أو تجعلها تتستر عليها ، بل إنها واضحة

كالشمس . حادة كالسيف . . ممشوقة كارمح . يراها الجميع في السينما . . والاستديو وبجوارها أحمد سالم . أو مع إسماعيل يس !!

إنها امرأة تسيطر على الجهات الأربعة . . وليست مشكلتها أن تكون ملكة مصر . . أو زوجة ملك ، إنما مشكلتها أن تكون مشهورة ومرغوبة جداً . . ولو على أسنة جسدها !!

ففاروق نفسه لم يعدها بشيء . . فقط حينما تدللت عليه مع مصور سينمائي شاب ادعت أنه خطيبها . . قال لها « يالك من عبيطة أيهما تفضلين عشيقة ملك . أو زوجة صعلوك ؟! » ولم ترد بحسم أو غضب وإنما قالت : « ماذا أفعل معك . . وأنا أشعر بأني مربوطة من رقبتي في حبل معلق في قصر عابدين !! ثم تذهب . وتعود . . وترفض . . وتعود نادمة !

إن فاروق قد حدد موقع كاميليا منه . وهو يحدد هذا الموقع بنوع الهدية التي يرسلها لها . فبينما أرسل بوللي إلى فاطمة طوسون بأغلى زجاجة شانيل (٥) . . وأقيم عقد ماس عند وضعها ابنتها ، أرسل لكاميليا ومع بوللي أيضاً . . قفصين برتقال !! وترك لها في إحدى الرحلات ٥٠ جنيه تحت المخدة ورحل !! حتى الملكة (فريدة) لم تهتز كثيراً بالنم الذي تعيش عليه الحاشية حينما علمت بوجودها . . فلقد جاءت في وقت كان البلاط به مزدحم بالحكايات عن (آني بريبه) و (نُهى) أو ناهد رشدي ، وسامية جمال ولكن فريدة لم تشعر بالخطر إلا من (فاطمة طوسون) !! وكان لها ادعاء غير مفهوم فيما بعد عن

خطورة (نُهى) وحينما نشرت الصحف فى ٥ سبتمبر ١٩٤٦ - أن فاروق مع كاميليا - قالت فريدة : هذه نهاية فاروق . ستكون (السرايا الصفراء) كما فعلت مع إسماعيل يس فى فيلمها الجديد !!

وغضب فاروق وقتها من كاميليا فقد شعر أنها هى التى سربت الخبر للصحف ! .

قال لها : « إن يوم ٥ سبتمبر هو العيد الخامس والعشرين للملكة فريدة ، إنه يوم ميلادها ، وأنها (أى فريدة) ستعتقد أن هذه هديته لها فى عيد ميلادها !!

وبكت كاميليا وتمسكنت وحلفت أنها لم تتكلم ولكن فاروق أهانها وعذبها وذكرها بأصلها وهويتها الدنيئة وقال لها : « لقد أردت أن أرفعك إلى عشيقة ملك ، ولكنك لاتصلحين إلا عشيقة ممثل » !! يقصد أحمد سالم .

أما حكاية هذه العبارة . . فهى نفسها حكاية معرفة فاروق بكاميليا . فقد دخل فاروق والخادم بوللى وكريم ثابت إلى (أوبرج الأهرام) فى أحد أيام صيف ١٩٤٦ ، وبدأ فاروق ينظر حوله باحثًا عما يشده ويلفت اهتمامه . . وفجأة فتح عينيه ليرى (كاميليا) ! نوع من النساء تشبه ريتا هيوارث إنها من نفس الطراز الذى يعجبه الممتلئ ، المحددة تضاريسه وأنوثته !! . .

شعرها الأشقر الداكن كان ممشطًا إلى الخلف ، من جبهتها ومتجمعًا على شكل كعكة فى مؤخرة رأسها ، شفتاها كانتا ممتلئتين ،

غليظتين وذات إغراء حسى نفس الشفاه التى يحبها فاروق ! وعيناها سوداوان واسعتان وذوات بريق ، خداها مستديران ووجناتها إلى أعلى . إنها نفس صفات خدود فاطمة طوسون ، وحينما قامت لترقص أعجب فاروق باستدارة الكعبين !! وجرأة النهدين ! ولكن الذى جعلها أكثر جاذبية هو الرجل الذى كان معها . . والذى كان واضحًا أنه غارق فى حبها . . إنه المخرج (أحمد سالم) ! فقد كان فاروق مصابًا (بالكليبتومانيا) العاطفية . وهو مرض جنون السرقة وفيه يجد صاحبه فى نفسه دافعًا قويًا لأخذ ما فى يد الغير ولا يستطيع إلا أن يستسلم لاندفاعه !![1]

ويقول المحللون أن هذا المرض قد عرفه فاروق بالنسبة للأشياء والبشر !! فهو لايحب المرأة الخالية بل المشغولة !! هو لايكتشف وإنما يحب المرأة المكتشفة . . ليس له ذوق وإنما يثق فى ذوق الآخرين !! ودخلت كاميليا دنيا فاروق من بوابة عقدته هذه !!

وبالطبع ذهب بوللى إلى مائدة كاميليا وانحنى فى أدب وقال لها إن جلالته يحب أن تشاركه مائدته ، وبسرعة انهارت تحفظاتها وأصبحت على استعداد لأن تقول وتفعل ما يطلبه فاروق ، ولم يكن فى ذلك أى

---

(١) ذكر ذلك كلٌ من اللواء محمد نجيب وياسين سراج الدين : فاروق كان عنده متحفًا للمسروقات الملكية فيه : ساعات وولاعات وسيوف ومسدسات وآثار فرعونية ، هذه المقتنيات منها ما يخص (توت عنخ آمون) و (عزيز المصري) ، (چرچ لطف الله) ، (وشاه إيران) ، (ومحمد على باشا) !

تملق فى سـلوكها ، إن أمها (أولجا كوهين) تفسر ذلك فى مذكراتها التى نشرتها حديثًا حيث قالت : لقـد عرفت كاميليا فاروق لينقذها من هوى أحمد سالم . . فقد كانت تشعر بأن أحمد سالم هو أقـوى رجل فى مصر . فلما رأت فاروق فشعرت أنه قوة السلطان التى ستغلب قوة الحـب . . !

المهم أنها منذ اللحظة الأولى سمحت له بالتسلل لأى مكان ! وقبلت اقتراحه بزيارة الكوخ القريب من الأهرامات وهكذا بينما كريم ثابت يقود أحمد سالم بعيداً . . فإن كاميليا وفاروق وبوللى أخذوا سيارة إلى الكوخ !!

ومن حجرة النوم . . حيث الهدوء بلا نهاية والأهرامات تظهر كالأشباح فى ضوء القمر . . حرك المنظر والمكان والحدث كاميليا ووضع فاروق ذراعه حول خصرها وقال لها العبارة التى يحفظها : هذه ليلة للذكرى ، ولن أنساها أبداً !! أما باقى تفسير عبارة فاروق لكاميليا فقد جاء فى أوراق السفير البريطانى كيلر . . ففى أوراقه ورسائله أشياء عن كاميليا وبخاصة فى البرقية رقم : ٢٢٤ ، ٢٣٦ .

أما أهم ما جاء فى أوراقه : عام ١٩٤٦ - فاروق يستأنف غرامه باليهوديات

فتاة الملك هذه المرة (ليليان كوهين) الممثلة التى اشتهرت باسم كاميليا ، فقد التقطها مخرج منحها ألف جنيه كأجر عن فيلم - وكأجر عن خدماتها الخاصة للمخرج !!

أراد المخرج أن يغيظ بها فاروق - فاصطحبها إلى أوبرج الأهرام وجلس على مائدة بالقرب من فاروق وبعد مغادرة الملهى أمر فاروق بمتابعة «كاميليا» حتى عرف اسمها وعنوانها وعرض عليها أن يصطحبها فكادت تطير من الفرحة فقبل ذلك بشهور كان صديقها حلاقًا يونانيًا !! والآن سيكون صديقها الملك ! ولكن رسالة كيلرن رقم ٢٣٦ لاتذكر كاميليا بمفردها ولكن تذكر مغامرات الملك مع الأميرة (مهوس طوسون) زوجة سعيد طوسون ، شقيق حسن طوسون !

وأشياء عن «الانسة زغيب» التى أنزلها الملك فى جناح خاص فى فندق (سمر بالاس) وينهى كيلرن رسالته بعبارة « إن العاهل الصغير ألقى بالتعقل فى أدراج الرياح فيما يختص بعلاقاته النسائية » !!

إذن ماهى خطورة كاميليا ؟! إنها عشيقة إضافية فى حياته . . امرأة (أوفرتايم) !! ثم إنها ليست أول اليهوديات فى قصره أو حياته وإنما هناك إيرين چينيل ، هيلين موصيرى !!

ما هى خطورة ليليان كوهين التى ولدت فى ١٢ ديسمبر ١٩٢٩ من أم مسيحية وأب يهودى . . ونشأت شبه لقيطة حيث تنكر أبوها ڤيكتور كوهين من مسئوليته وأبوته بمجرد ولادتها !

ثم إن أمها . . امرأة غريبة الأطوار تزوجت ثلاث مرات وأحبت مرتين ولم تعرف رجلاً واحدًا مسيحيًا على ديانتها !!

بل إن كاميليا نفسها ورغم كونها ممثلة شهيرة . لم تكن إنسانة كريمة فقد تعلقت بأحمد سالم ثم تركته ولجأت (ليوسف وهبي) ثم

زهدت فيه وعادت لأحمد سالم ويقال إن كل من (يوسف وهبى وأحمد سالم) دفع خلو رجل للآخر عنها ثلاثة آلاف جنيه . . فهى امرأة تمثل وتقيم فى شقة المخرج طوال مدة تصوير الفيلم !! إن كيلرن يقول ذلك بألف جنيه تمثيل وخدمات خاصة للمخرج !! وارتبطت فترة (بأنور وجدي) ثم اكتشفت أنه يغيظ بها (ليلى مراد) ولما وجدت المال مع اللصوص تفرغت لسليمان عزيز وصالح عوض لكن السجن فرق بينهم !!

إن هذه الأخلاق هى الخطر . . فكاميليا قلبها مع اللى يكسب . الرجل فى حياتها بمقدار مايحقق لها من طموح . . حتى أنها دفعت موظفين هما (سليمان عزيز وصالح معوض) لاختلاس مبالغ كبيرة لإنتاج فيلمها «أرواح هائمة» وتم القبض عليهما وسجنا !!

إن هذه هى أخلاق الجنس الناعم القابل للإغواء . . ولأن أجهزة المخابرات اكتشفت منذ آلاف السنين علاقة لن تنتهى أبدًا بين المرأة والجاسوسية - قلبٌ وجسدًا - هى أقصر الطرق لاختراق أبواب السلطة الموصدة ، وصناديق أسرار الحكم المغلقة !! تم تجنيد (ليليان كوهين) فى مخابرات الجنس الناعم لنشر كل أخبار الملابس الداخلية للملك فاروق !! حتى وصلت إلى سوق السلاح فى حرب فلسطين !! ولكن أى مخابرات : الانجليز أم الألمان أم إسرائيل ؟!

ففى تلك الفترة المبكرة ، وخلال الحرب العالمية الثانية - واحتياج المخابرات البريطانية إلى عناصر نشيطة تمدها بالمعلومات كانت هناك

وقائع لتجنيد فنانات !! ولقد تردد أسماء بعض هؤلاء ، بعضهن تعاون مع المخابرات الألمانية ضد الإنجليز ، وبعضهن مع المخابرات الإنجليزية ، وبعضهن مع الإنجليز والفرنسيين ! ، وبعضهن ترك علامة استفهام ومن هؤلاء أربعة فنانات عملن بالمخابرات قبل الثورة وقدمت (سنية قراعة) أسمائهن إلى محمود فهمى النقراشى باشا !

الأولى : الفنانة (أمينة البارودى) ملكة جمال مصر وسيدة المجتمع !

الثانية : الراقصة (حكمت فهمي) أشهر راقصة مصرية وأدينت فى قضية تخابر مع الألمان ومعها (السادات) !

الثالثة : الفنانة المعروفة (أسمهان) وماتت فى حادث سيارة أبعد ما تكون عن القضاء والقدر !

الرابعة : الفنانة كاميليا التى لمعت فجأة ووصلت إلى فراش الملك وقصره !!

أما كيف تم تجنيدها ؟! فلهذا قصة تلعب فيها الصدفة دورها !

فلقد أعلن فاروق عن رحلة إلى شرق البحر الأبيض وصحب معه فى رحلته الأميرة (فوزية) أخته ، والسيدة ناهد رشاد وزوجها د. يوسف رشاد وأنطون بوللى والبكباشى (سليمان عزت) ياور فاروق البحرى ومراد محسن .

ووصل فاروق إلى قبرص فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٦ ، ويبدو أنه كان هناك اتفاق فقد وصلت فى نفس الوقت كاميليا إلى قبرص ،

حيث تقابلا وتعددت لقاءاتهما السرية . . وفجأة تعددت الأخبار عنهما في الصحف حتى نشرت بالفرنسية ! ووصل للملك خطاب من القصر في محتواه أن مصر كلها تتحدث عن علاقة فاروق بكاميليا وغضب فاروق منها واعتبرها مسئولة عن النشر وغادر مركب فاروق (فخر البحار) قبرص في ٧ سبتمبر ١٩٤٦ ولكنه ليضلل الإشاعات والأكاذيب عن حكاية غرامه الجديدة اتجه بالمركب إلى (تركيا) ، وأحدثت هذه الزيارة الخدعة اهتمامات سياسية واسعة وبخاصة من إسرائيل ، فقد رأت فيها واشنطن أنها إشارة لعمل تحالف عسكري بين (أنقرة والقاهرة) وأسقط ذلك في يد (إسماعيل صدقي) رئيس مجلس الوزراء الذي هدد بالاستقالة وبينما فاروق يفكر في العودة إلى الأسكندرية جاءت هذه الرسالة من كاميليا له « إما أن تعود وإما أن أنتحر » وعاد فاروق مرة أخرى لقبرص صباح يوم ١٠ سبتمبر ، بل خرج رجال فاروق يبحثون عن مدامـوازيل (ليليان كوهين) ولم يتطلب الأمر جهداً من جانب الوكالة اليهودية لكي تفكر في (كاميليا) للتجسس على فاروق فقد تصنتت على الرسالة وتلقتها ورأت رد فعلها على الملك !! إن امرأة لها كل هذا التأثير لثروة قيمة في هذا الوقت للتجسس على فاروق ! مع أن كاميليا - حينما تركها فاروق في قبرص ، فكرت بنفس الطريقة التي فكرت بها حينما تركها (أحمد سالم) من قبل ، فقد علمت بأن أحمد سالم قد قرر إنهاء عقد احتكارها سينمائيًا مقابل ثلاثة آلاف جنيه أخذها من يوسف وهبي ، فاتصلت به وطلبت منه الحضور ومعه النسخة الثانية من مفتاح شقتها الموجودة بالدور التاسع بعمارة (الإيموبيليا) بشارع

شريف واتفقا على الموعد ، فإذا بها ترتدى ثوبًا جميلاً وتحسب الوقت بدقة ثم قبل حضوره تتناول منومًا ، ويدخل عليها أحمد سالم فيجدها غائبة عن الوعى ، وبجوارها ورقة مكتوب فيها : أحبك . . يا أحمد!! فما كان من أحمد سالم إلا أن أعاد العربون (الخلو رجل) ليوسف وهبى !! بنفس الطريقة جاءت رسالتها المدوية ، والتى التقطتها أجهزة المخابرات . وأصبحت المعلومات [أن كاميليا احتوت فاروق واخترقت بطانته] !! وبسرعة أرسلت (الوكالة اليهودية) إلى مركزها فى (چنيف) لوضع خطة لتجنيد كاميليا - وكانت چنيف هى المركز الرئيسى الذى تم فيه تأسيس (الموساد) وعين « جيمس زارب » رئيسًا لهذه الشبكة والذى طلب منه أن يستفيد من اتصالات كاميليا فى مصر مع كبار المسئولين والقصر الملكى ، واتصل (زارب) بمدرب الرقص اليهودى « إيزاك داكسون » الذى كان يفتح صالة رقص فى شارع فؤاد لتدريب الهاويات على الرقص الشرقى . وكذلك اتصل باليهودى « لسيون كازيس » وكان يعمل مديرًا لمعمل (أبو الهول) الذى يمتلكه (أنور وجدى) !

واستطاع (زارب) عن طريق هؤلاء أن يتصل بكاميليا وعقد معها عدة لقاءات ، وأرسل (زارب) إلى چنيف يقترح عدة اقتراحات لإرضاء رغبات ونزوات كاميليا !

أولها : تقريبها من السينما العالمية ومحاولة الأخذ بيدها فى هذا المجال !

ثانيها : القيام بحملة دعائية كبيرة لها من خلال الصحف والمجلات على أن تقوم الوكالة الإسرائيلية بالصرف !

وبالفعل بدأت الوكالة فى غرس كاميليا فى السينما العالمية !!
واستطاعت الاتفاق مع كاميليا على القيام ببطولة فيلم عالمى أمام النجم (إريك بورتمان) !

وأثناء عملها فى الفيلم تعرفت على الممثل البريطانى الشهير « مايكل واينبج » وتوسط لها عند المنتجين الإنجليز بشرط أن تظل فى بريطانيا . ولكن عليها أن تدفع الثمن . . فقد طلب منها «جيمس زارب» سرعة العودة إلى القاهرة على أن تكون حجتها إنهاء عقودها هناك !

ولم تكن العودة بسبب السينما وإنما كانت تمهيداً لعمل أكبر هو الاشتراك فى صفقة (الأسلحة الفاسدة) التى اشترتها مصر وحاربت بها إسرائيل عام ١٩٤٨ !!

وأثناء الحرب طلب منها أن تلعب دوراً اجتماعياً داخل المجتمع المصرى نفسه لتحقيق هدفين :

الهدف الأول : تغطية موقفها مع المخابرات الإسرائيلية ، أما الثانى فهو معرفة ما يدور داخل عقول أفراد المجتمع المصرى !

وخلال هذه الفترة أدلت كاميليا لمجلة الصباح) بالحديث الآتى :
« إننى فى حياتى لم أعرف مراسيم اليهود ، ولا ديانتهم ، ولم أدخل يوماً معابدهم . . بل أصدقائى كلهم ليس فيهم يهودى ولا يهودية ، ومع ذلك سمعت بأذنى وقرأت بعينى كلاماً يتهمنى بأننى إسرائيلية متعصبة كل همى جمع المال . . وأقول لهم « كلا إن همى كله إسعاد الشعب بفنى

بل إن أمها صرخت فى أحد الحفلات بأن ابنتها كاميليا مسيحية وليست يهودية وأنها قد قامت بتعميدها فى دير (سانت كاترين) ونصرتها بعد عام واحد من ولادتها وبدون علم زوجها الذى تركهما وطفش !!

وقامت كاميليا بالانضمام إلى الجمعيات والحفلات الخيرية التى بدأت فى جمع التبرعات من أجل فلسطين فى ذلك الوقت - بل إنها استصدرت من (عبد الحميد بك) وزير الشئون الاجتماعية عام ١٩٤٨ تصريحًا بجمع التبرعات واشتركت معها فى ذلك الوقت (أم كلثوم وتحية كاريوكا) .

وتتأرجح علاقة فاروق بكاميليا فى ظل الاهتمام المصرى والعربى بقضية فلسطين فيتوقف الملك عن لقائها منذ حادث قبرص حتى منتصف ١٩٤٧ - حيث يدعوها فجأة وفى (قصر عابدين) ، حيث أخذت تشكو له هجرها وفقرها ، وحياتها فى شقة صغيرة بالأسكندرية ، ويلاحظ الملك أنها جائعة وتأكل بشراهة فأدرك حالها وأعطاها (مائة جنيه) !!

وتصدر الصحف فى يناير ١٩٤٨ بعبارة « شوهد أحد الكبراء يقبل فنانة معروفة فى طريق الأهرام » وكان المقصود الملك وكاميليا - حيث ذهب إليها فى الأستوديو فى سيارته ، يلبس قبعة ، وضع على عينيه نظارته السوداء التى اشتهر بها ، وكان ذلك أثناء تمثيلها فيلم (ولدى) !

وفى ١٩٥٠ يسافر فاروق إلى أوروبا ويرسل إليها ليستدعيها بعد أن خطب (ناريمان) فى ١١ فبراير ١٩٥٠ ولكنه وهو بالخارج على حد أقوال البعض يسمع خبر وفاة كاميليا فى حادث طائرة فى (١ سبتمبر

١٩٥٠) هى ومعها (٥٤) من الضحايا عند مدينة الخطاطبة المصرية » .
وتتعدد الروايات وتختلف . . .

- حول لماذا تسافر وإلى أين تتجه ؟!

- من الذى قتلها ؟!

ويرى البعض أن نهايتها تشبه نهايات التصفية الجسدية عن طريق أجهزة المخابرات ، والبعض الأخر يرى أن وراء التصفية (الحرس الحديدى) سواء بعلم الملك وطلبه - أو دون ذلك عن طريق (ناهد رشاد) بسبب الغيرة[1] !

وتبقى فى حكاية (مارلين مونرو عصر فاروق) الرواية الهامة الواردة فى كتاب مجدى كامل « عشيقات المشاهير » نوردها بالرد لمصدرها . . لأننا لم نجد من يؤيدها . . أو يذكرها . وبخاصة أن الطائرة المحترقة فى حادث كاميليا كانت ماركة « كونستيليشن » وكانت متجهة للولايات المتحدة لا لأوروبا ! .

يقول مجدى كامل فى كتابه السابق الإشارة إليه[2] :

« وبعدما عرف الجميع بأمر تورط كاميليا فى الصفقة تدخلت (الوكالة اليهودية) لحمايتها بعدما أصبحت عميلة رسمية للمخابرات

(١) فنانات فى الشارع السياسى : حنفى المحلاوى - مكتبة الدار العربية للكتاب - ١٩٩٦ .

(٢) عشيقات المشاهير ص ٦٥ حتى ٦٨ .

الإسرائيلية . وكانت الخطة أن تسعى إلى استمالة الملك وإقناعه بالزواج من كاميليا لإنجاب ولى العهد الذى يتوق إليه فعندما تكون كاميليا ملكة يصبح بمقدورها خدمة مصالح إسرائيل دون عناء . . .

ولما فشلت كاميليا ، وكذلك رجال الحاشية الفاسدة فى إقناع الملك بفكرة الزواج ، أخذت كاميليا تبتعد عنه خاصة بعد نشر خبر عام ١٩٥٠ عن قرب اقترانه (بناريمان) !! . ولما ذاق فاروق مرارة الجفاء ، ولوعة الحرمان . . حاول استرضاء كاميليا حتى تستمر فى إعداد الوجبة الملتهبة التى عودته عليها فقام بنشر خبر بتكذيب زواجه من ناريمان ! ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد عقد الملك اتفاقًا مع عشيقته على الزواج عرفيًا . حتى إذا ما أنجبت ولى العهد يعلن الزواج ، ويصبح رسميًا وشعبيًا !!

ومن هنا غيرت كاميليا دياناتها من اليهودية إلى المسيحية . واقترح الملك أن يكون الزواج فى فرنسا . . . .

. . . .

وقد استخرج فاروق جواز سفر باسم (أنور باشا المصرى) سافر به إلى أوروبا ١٩٥٠ وزعم لحاشيته أنه يريد أن يتجول على حريته بأوربا . . . . . وبينما فاروق فى انتظار كاميليا لإتمام الزواج بباريس احترقت طائرتها المتجهة لفرنسا »[١] .

---

(١) الرواية محل شك فى نظرنا لما أوردناه من صعوبات الزواج وأن فاروق كان يجد نفسه مع الأميرة (فاطمة طوسون) الأمر الذى شكل خوف عند الملكة «فريدة» .

أما الثابت لدينا أن فاروق علم بوفاتها وهو خارج مصر وحزن عليها بطريقته : التفت إلى بوللى وقال له إن موتها فأل سيئ بالنسبة له » ! !

وإذا كانت قصة (كيندى - مونرو) لا تزال قيد البحث والتحر ، وموضوع لكلام وجدل فى أمريكا . فإن قصة (كاميليا - فاروق) هى الأخرى تظل حكاية مثيرة فى المجتمع المصرى والعربى ، والغريب أن كلتا القصتين تثير نفس الأسئلة وتتكرر نفس المحاولات عنهما لكشف الحقيقة ، وتبقى الإثارة غلافًا دائمًا للبحث . والغموض وراء كل إجابة أما هذه الأسئلة فهى على الترتيب الآتى :

- هل أحبها أم كانت مجرد نزة فى الفراش ؟ !
- هل كانت عميلة تعمل لجهة من جهات التخابر ، وزرعت فى القصر لفتح طلاسم الأسرار ومعرفة خفايا الحكم ؟ !
- هل كان موتها قضاء وقدر - أم بفعل فاعل وعن عمد واحتراف ؟ !
- هل اكتفت بالفن والسينما ، أم قررت أن تمد أنفها فى السياسة أيضًا ؟ !

ولا نستطيع فى كل المحاولات . . إلا أن نضع اجتهاداتنا بين علامات من التعجب وأخرى من الاستفهام . فقد أوضحنا ما سبق أن فاروق قد خطفها من المخرج شاطر السينما « أحمد سالم » لكنها لم تكن رغم ذلك المرأة الوحيدة فى حياة فاروق منذ حادث الأوبرج الذى تعرفت فيه عليه واشتهاها ملكيًا وكان ذلك فى أواسط الأربعينيات وحتى انتهت حياتها فى مطلع الخمسينات . بل سمعنا عن أسماء أخرى فى حياة

(فـاروق) من الوسط الفنى فى مـصـر ومن خـارجـه ومن أشـهـر هذه الأسماء المغنية الفرنسية (آنى بريه) . . وكذلك كاميليا لم تكن مخلصة له كرجل بل كانت مخلصة له كملك إذا دعاها لبت وإذا تركها بحثت عن غيره يعطيها الثروة أو الجاه أو يسهل لها أن تكون نجمة سينمائية !! فهى تعود مرة . . وأخرى لأحمد سالم ، وحينما يتدخل الملك لاعتقال المخرج ، بحجة أن عليه شيك بدون صيد بمبلغ ١٥٠٠ جنيه تتدخل كاميليا وتعطى المخرج فطين عبد الوهاب مبلغ ٥٠٠ جنيه لتساعد فى هذه الأزمة !! ثم أنها تعرف على الملك شخص اسمه (صالح العوضى) اختلس مبلغ كبير يصل إلى ٩٠ ألف جنيه مصرى وفتح مكتب للإنتاج السينمائى من أجلها ومثل معها بالعافية وبفلوسه فيلم « ولدى » ، واشترى لها سيارة كاديلاك ، وقبلها فى الفيلم قبلات على طريقة عبد الحليم حافظ فى فيلم (أبى فوق الشجرة) . . ثم أنها لا تكتفى بذلك فما عليك إلا أن تقرأ مذكرات (دون چوانات السينما) لتعرف ماذا فعلت بهم جميعًا هذه الكاميليا !!

فمن يقرأ مذكرات عبد الوهاب يتعجب أنه يحكى أنه كان يغنى لها وحدها فى بيتها ويجلس تحت قدميها ويعزف على العود - وهو يذوب فيها وتذوب فيه !!

أما كامل الشناوى - الشاعر المرهف - فله شعر فيها - وقد ذهب إليها ومعه توفيق الحكيم ليترجمه لها إلى الفرنسية حتى تفهم دقة معناه . . وكانت تحضر معهم فى ذلك الوقت أم كلثوم وقالت له : حب ده مش شعر يا كامل بيه !! حتى الممثل القدير (محمد توفيق) لم يسلم من

الوقوع فى جاذبيتها وبخاصة أنه كان يقوم بتعليمها دروس الأداء الحركى والنطق العربى للحروف !!

بل إنها عند سفرها الأخير تحيرت الأقوال هل ذهبت للقاء المليونير الدمياطى (س . بك اللوزى) . أم ذهبت للقاء الملك فاروق أم أنها كانت فى طريقها لعمل سينمائى أجنبى وبخاصة أنه سبق لها تمثيل فيلم (طريق السموم) مع الممثل (إريك بورتمان) !!

ثم لنقرأ صفحات من مذكرات رشدى أباظة لنجد أن كاميليا تشغل نسبة ٢٠٪ فى هذه المذكرات !!

أما موتها التراچيدى الغامض فشئ آخر . .

فهناك اختلاف على نوع الطائرة : كونستيليتن أم غيرها !! واختلاف حول طريقة ركوبها هل هى : .O.K أم على الانتظار ؟!

وهل سافر معها ممثلاً عجوزاً أم لا ؟! ولماذا كانت مصرة على أن تسافر صباح الخميس ؟!

وهناك اختلاف على جهة الطائرة هل هى ذاهبة إلى أمريكا أصلاً أم إلى باريس ؟! المهم أنها كانت طائرة (T.W.A) وسقطت محترقة قبل عبور الحدود المصرية وكانت كل اتصالاتها اللاسلكية : أنه لا شئ وكله تمام !!

أما رحلتها الأخيرة ففى أقوال كانت بعد اتصال بينها وبين الملك ، كانت الأخبار عن ناريمان ملكة مصر الجديدة وأنها تعد فى أوروبا وسافر

فاروق باسم مستعار للإشراف على ذلك ولكنه تركها ليقابل كاميليا . رأتى بريه في باريس !!

وحينما عرض عليها الملك الحضور له قالت له أنها ستسافر إلى أوروبا أو أمريكا بالفعل وأنها ستحاول أن تقابله ؟! وأكدت له أنها ستقضى بضعة أسابيع فى سويسرا وبعدها ستعود إلى لندن ثم تقابله !!

وأما الغموض الذى أحاط بالرحلة وبالنهاية الحزينة ؟! أن سلاح الطيران الملكى المصرى لم يقم بأى مجهود لإنقاذ الضحايا وأن أشياء كاميليا كلها فقدت بما فى ذلك خاتم سوليتير ثمنه ١٥٠٠ جنيه !! وتم التعرف على جثتها من الحذاء الساتان الأخضر الذى لم يمس ومن سلسلة كانت تحمل حروف اسمها الأول !!

وبينما تقرر صديقتها وزميلتها تحية كاريوكا أن أمر سفرها وتاريخه كان معروفًا لديها وفى الوسط الفنى حتى أن « حسين صدقى » طلب منها أن تقنع كاميليا بعدم السفر إلا بعد أن تمثل الفيلم المتعاقد عليه معها وكان يقول لتحية أنها (ستسافر بره وتفوت الكونتراتو) وأنها تدخلت وباتت ليلة سفرها معها وفى منزلها وقالت لها : إنها ستسافر للعلاج لأن صدرها يؤلمها !! فإن شركة الطيران تؤكد أنها حجزت لها فى آخر لحظة حينما اعتذر أحد الركاب !!

ثم يفجر مصرعها سؤالاً من الذى قتلها ؟! أم أن موتها طبيعيًا ؟!

(واتفق البعض من المؤرخين على أن مصرعها لا يمكن أن يكون متعمداً وذلك لأنها أجلت سفرها إلى رحلة الطائرة التالية بعد ثلاثة أيام، ولكن قبل الاقلاع بالطائرة بثلاث ساعات ألغى مسافر رحلته إلى جنيف ولما كان اسم كاميليا هو أول اسم على قائمة الانتظار ، فقد جرى الاتصال بها وأبلغت بأن هناك مقعداً خاليًا لتسافر إلى الرحلة التى لم تعد منها وحدث ما حدث) ، ولذا لم يسافر معها الممثل العجوز !!

ولكن هناك رواية أخرى تؤكد أن الأمر كان مدبراً (أن كاميليا قررت أن يكون معها الممثل العجوز ولكن لم تجد له تذكرة فى رحلتها كل التذاكر محجوزة ، وحاول الممثل العجوز أن يعتذر ، وبينما كاميليا تستعد للسفر بحقائبها وهى قلقة متلهفة دق التليفون وأبلغوها بتوافر مكان وأن هناك مسافر اعتذر وذهب معها الأستاذ العجوز . . فالتذكرة التى كانت فى آخر وقت تذكرة الممثل العجوز . . لا كاميليا)[1] ولكن لا أحد يذكر من هو الممثل العجوز ؟! وهل لاقى حتفه معها !! ولذا فإننا أميل إلى كون الحادث عمد وأن الجهة الوحيدة الرابحة من اختفاء كاميليا ، وفى تلك الفترة بالذات هى الحرس الحديدى ، من منطلق الدفاع عن الملك ومصالحه وبخاصة أن عملية تدشين الملكة الجديدة ناريمان . . كانت قائمة على قدم وساق .

(ويذكر سمير فراج فى مؤلفه السابق الإشارة إليه أنه حينما سمع فاروق من بوللى بخبر احتراق الطائرة أنه قال :

(١) سمير فراج - فاروق وكاميليا - مرجع سابق - ص ٢٣٠ وما بعدها .

- لقد نصحت كاميليا كثيراً بأن تصبح صديقه للسيدة ناهد رشاد . . ولكنها لم تصغ للنصح) .

ولكننا لا نرى أن هذه لهجة فاروق أو عبارته فهو يقول لناهد رشاد : نهى !! ولم يطلق عليها السيدة ناهد أبدًا !!

ولكنه بهدوء يريد أن يبرئ نفسه . وكأنها ليست رغبته ولا أوامره . . وكأن ناهد رشاد فعلتها بدون أذنه ولهذا يقول السيدة ناهد رشاد ولكنه هو المستفيد الوحيد من مقتل كاميليا !!

ونصل إلى التساؤل الأخير . هل اكتفت بالفن والسينما أم مدت أنفها للسياسة أيضًا ؟! يبدو أنها فعلتها وجعلت الفن والسياسة فى زجاجة واحدة !!

« فمثلاً اختيرت وهى فى بداية طريقها فى السينما لتمثل دور البطولة فى فيلم « طريق السموم » الإنجليزى ، والذى صورت كثيراً من مشاهده فى مصر وهو عن محاربة المخدرات وحتى الأن لم يعرف الأسباب لاختيارها لذلك - وهل الأمر مجرد فرشة إعلامية فعلتها لها أجهزة التخابر أم ضربة حظ !! ولكن منتج الفيلم استغلها . . فقامت بنفسها بتصوير فيلم يحوى مناظر أخذت من أحياء شعبية تصور البؤس والمرض الذى يعانى منه المصريين وكان على فيلم ٣٥ م وأوهم بأنه سيدخل ضمن الفيلم عند عمل المونتاچ وضبطت به » .

حينما اقتضى دورها فى نفس الفيلم أن تسافر إلى إنجلترا . . فتحت فمها على آخره فى الصحف الأجنبية ونهشت فى الفن المصرى

والسينما المصرية بالافتراءات والأكاذيب - وفجأة ادعت بأنها يطلق عليها فى مصر « ملكة النيل » !! وحينما تحدث (إريك بورتمان) الذى يشاركها العمل فى الفيلم قال : إنها ساحرة - ثم أنه يكفيه أنه يمثل مع صاحبه الكلمة النافذة فى مصر والتى تعتبر كلمتها قانونًا فى مصر !! وبالطبع كان ذلك تحت سمع وبصر الجميع بل أن الصحف المصرية هاجمتها عند عودتها : بأنها ممثلة وصولية . . ولا تجيد التعبير . . ثم أنها لا تنطق اللغة العربية أساسًا !!

أنه يلاحظ أن الصحف الأجنبية فتحت صفحاتها لها : (مجلة بيكشرو) الإنجليزية ، (البارى سوار) الفرنسية ، (الهوليود شو) الأمريكية والتى قالت عنها : أنها سمكة كبيرة (كاميليا) فى بركة صغيرة (يقصدوا مصر) !!

أن رحلتها مع فاروق إلى قبرص أوضحت مدى خطورتها على العرش ، وكانت بالطبع محلاً لنظر وتفكير ناهد رشاد التى رافقت الملك فى الرحلة وعرفت كل شئ يحكم وجود حراسه له من (الحرس الحديدى) الأمر الذى جعل (كاميليا) نفسها تحاول اختراق الحرس الحديدى . . بعد أن اخترقت الحاشية بمعرفتها القوية ببوللى الإيطالى الجنسية مثلها وإلياس اندراوس مستشار الملك الاقتصادى والذى كان يحبها وكذلك (جارو) حلاق الملك (الخاص) .] وبدأت كاميليا تبحث عن (مصطفى كمال صدقى) أسطورة الحرس الحديدى وبخاصة بعد معرفتها عن ولعه بالنساء وكان من عشاق فن صديقتها تحية كاريوكا

وتزوج بتحية بالفعل بعد الثورة - ولكن جارو حذرها من مجرد الاقتراب منه أو التفكير فى الحرس الحديدى لأنها منطقة نفوذ ناهد رشاد][1] .

ثم أن كاميليا فعلت شئ آخر ، بعدت عن (مصطفى كمال صدقى) لأنه كما سمعت بتاع ناهد رشاد . ولكنها عرفت آخر من الحرس الحديدى وهو الملازم عبد القادر طه [كان الصديق الحميم لمصطفى كمال صدقي واتهم معه فى مؤامرة ١٩٤٧ حيث كان وقتها برتبة صول فنى) ولا يعرف شيئ عما دار بينهما إلا أن بوللى رغم صداقته مع كاميليا وتسهيل أمر شهرتها السينمائية مع يوسف وهبى إلا أنه شاهدهما معًا فى قارب بالنيل فقرر الإبلاغ . وحينما انقسم الحرس الحديدى على نفسه وانقلب مصطفى كمال صدقى على الملك وحاول قتله . . أقر فاروق لمؤامرة لتصفية مصطفى جسديًا (وبدأ العمل باغتيال عبد القادر طه ساعده الأمين وكان لناهد رشاد يد فى الترتيب ، فهى تؤثر أن يكون الضحية رفيق صديقها بدلاً منه[2] مع أن ذلك الاغتيال لا داعى منه لأن المقصود مصطفى كمال إلا إذا كانت « ناهد رشاد » تريد الانتقام القديم من كاميليا .

وبالتالى فكاميليا لم تكن مثل آنى بريبه امرأة من الوسط الفنى تعيش فى كنف ملك . . أنها لا تكتفى بالفن أو هى تضع الفن والسياسة فى زجاجة واحدة ! !

بقى تلك الرؤية الخاصة من رشدى أباظة - لكاميليا .

(١) فاروق وكاميليا - مصدر سابق ص ٢٧٩ .

(٢) المرأة التى هزت عرش مصر ص ٢١٣ .

يقول رشدى أباظة فى مذكراته :

(كانت كاميليا أشبه بالحصان الجامح الذى لا يستطيع أحد أن يوقفه ، حتى ولو كان الملك نفسه . كانت تفعل ما يحلو لها وتتحدى من تشاء ويقول تعلمت من حبها الدرس وهو أن كل من يحب كاميليا لا يستطيع على الإطلاق أن ينساها ! . . ويذكر أن علاقته بكاميليا استمرت ثمانية أشهر وأنها كانت علاقة حافلة بالمخاطر تحرش خلالها الملك فاروق به !! وأنه استجاب فى النهاية لرغبة أمه وسافر إلى روما ليبتعد عن المشاكل والمضايقات الملكية . .

وأنها عندما ماتت عثروا على صورته معها وقد علقتها فى رقبتها . . وهى الصورة التى أهداها لها وكتب عليها « إلى حبيبتى . . حتى الأبد » وغالى فى مذكراته حينما ذكر أنه جمع بين كاميليا وآنى برين معًا فى نفس الوقت الذى كانا فيه داخل علاقة مع فاروق ، وأنه بذلك كاد يتعرض للقتل)[1] .

ولكن لكاميليا سلطانها على فاروق فهو من أجلها يهدد بالقتل كل من أحمد سالم ورشدى أباظة . فهو قد منع أمر اعتقالها مرة أثناء حرب فلسطين حينما أصبح اسمها على كل لسان كجاسوسة يهودية فأعطى

---

(١) قرر الأستاذ حسن السمرا مدير العلاقات العامة فى شركة طيران (تى - دبليو - آى) التى كانت كاميليا قد استقلت طائرتها وماتت فيها محترقة أنه أمكن التعرف على جثتها من حلية ذهبية كانت تحمل الحرفين الأولين من اسمها (L. K) ليليان كوهين وأنها ركبت باسم (ليلى كوستانتينو) على متن الطائرة !!

أوامره بعدم اعتقالها أو التعرض لها . ومرة أخرى حينما طلب استبعادها من تحقيقات قضية (صالح العوضى) !!

امرأة بهذه الخطورة هل يمكن تجنيدها فى لعبة التخابر ؟! العجيب أن كونها جاسوسة عبارة خرجت من القصر الملكى وعلل بها فاروق لماذا تركها ؟! وكانت تتردد على ألسنة عامة الشعب وقيل أنها جاسوسة إسرائيلية وأنها كانت وراء أزمة السلاح الفاسد وفلسطين وأن اسمها ضمن من اتهموا فى هذه القضية[1] .

« ومما يروى فى هذا الشأن أنها رفضت إقامة علاقة مع صحافى كبير بهره جمالها (ك . ش) ولكى ينتقم منها أطلق عليها شائعة أنها جاسوسة يهودية تعمل لحساب الحركة الصهيونية ضد العرب ، وكان كل شئ مهيئًا لقبول مثل هذه الفكرة فوالدها يهودى وهى لا تعرف العربية إلا طشاش !! ومتى أثناء حرب فلسطين ٤٨ والكل يعرف أنها عشيقة للملك »[2] .

---

(١) تبين فيما بعد من بحث لـ د. عبد الوهاب بكر (أستاذ التاريخ بجامعة مع الزقازيق) في بحثه لنيل الأستاذية والذى عنوانه (أسطورة قضية الأسلحة الفاسدة) وما كتبه فيما بعد المؤرخ د. يونان لبيب رزق وكتاب صدر لـ د. عبد المنعم الجميعى : أن الأسلحة الفاسدة أسطورة وهمية وقضية فشنك ومجرد زوبعة أثارها الضباط الأحرار للتشهير بالملك - وأن هذه الأسلحة لم تستخدم أصلاً فى حرب ٤٨ وأن عبد الناصر قد برأ كل المتهمين فى هذه القضية !!

(٢) سمير فراج - فاروق وكاميليا (قصة غرام هدد عرش مصر) - دار الهدى - ١٩٩٦ - ص ٣٠٤ وما بعدها .

أما د. محمود متولى أستاذ التاريخ فهو مع الرأى الذى يرى أنها جاسوسة وأن ذلك وراء اغتيالها بهذه الطريقة وأنها تعمل لحساب الوكالة اليهودية فى تل أبيب وأنه ضبط معها أثناء سفرها فيلم يحوى مناظر أخذت من أحياء شعبية تصور البؤس والمرض والجهل الذى تعانى منه أحياء القاهرة !! وأنها لم تكن جاسوسة عادية ، بل أنها أيضًا عضوة فى شبكة للإساءة إلى مصر عن طريق إظهارها بشكل غير لائق !!)[1] .



(١) المصدر السابق نفسه – ص ٣٠٠ وما بعدها .

٥

أكتب لكم من داخل قلب : فاتن حمامة !!

حينما أراد مصطفى أمين أن ينصح الشباب بعدم زواج الممثلات كتب مقالاً عنوانه « لا تتزوج فاتن حمامة ؟! » فقد رأى أنها هى الممثلات والفن .

وحينما عولج فيما بعد فى مستشفى الدكتور عبد الله الكاتب وعلم أن فاتن حمامة كانت تعالج بها طلب أن يعالج من على سريرها . وكتب مقال آخر يقول أكتب لكن من سرير فاتن حمامة وبعدها جاء الناس يطلبون العلاج من على سرير فاتن ولجأت إداة المستشفى لحيلة وضعت فى كل قسم سرير أسمته باسم « فاتن حمامة » !! وبالتالى إذا كنت تعالج من الأسنان ستجد لها سرير ، وإذا كانت الأوجاع فى القلب ستجد سريراً أيضاً وهكذا لكل فروع الطب !!

ولكن المقال لم يعجب فاتن - وذهبت للأخبار والشرر يتطاير من عينيها !! وقالت لمصطفى أمين لقد شوهت سمعتى ؟! أن أنسان لم يجرؤ أن يقترب من شرف فاتن حمامه - هل كنا معا فى سرير واحد لتكتب مذكراتك منه !!؟

وعرف مصطفى أمين أنها لم تقرأ المقال فقط رأت العنوان . . وسمعت كلام أمها واستسلمت لأقوالها فى أن ذلك يخدش الحياء !! وعرف بأنها كبرت جداً حتى على النصيحة . . كبرت على أساتذتها وصديقاتها وكانت فلا يمكن أن يكون فكر فاتن حمامة بهذه الرجعية !!

وكانت أوامر مصطفى أمين لمحرريه بعد ذلك أكتبوا ماتشاءون عن فاتن حمامة - لكن لاتذكروها فى العنوان - أنها لا هى ولا أمها تقرأ سوى العنوان . وتترك الباقى للآخرين !!

لكن فاتن حمامة التى كانت لا تهتم إلا بعنوان المقال كانت تهتم بعلوم أخرى عرفتها من أمها منذ اليوم الذى وجدت فيه أمها تقرأ الفنجان كانت مهتمة : بعلم الفلك والنجوم !! وفيما بعد أصبح معروف أن تسأل البطل والعاملين فى أفلامها عن أبراجهم وترتب حساباتها على هذا الأساس !!

كانت فاتن حمامة من برج الحمل . . برج نارى متقلب يحكمه المزاج - وفجأة أصبحت تهتم ببرج الثور . . برج ترابى ثابت تحكمه الزهراء !!

وقالوا لها : أن الثور لا ينفع لها . . أن التراب يطفئ النار . وقررت أن تتخلى عن علم الفلك وعن كلامه . عشان خاطر برج الثور . أنه القلب أحكامه . إذا أحببنا عمينا وطرشنا . ولم نعد نرى غير شئ واحد ، وطريق واحد هو الحب !!

وكان ذلك أثناء فيلمها «أيامنا الحلوة» ولم يكن من مواليد برج الثور من بين الأبطال الثلاثة أمامها فى فيلم (عبدالحليم وأحمد رمزى وعمر الشريف) . سوى الأخير صاحب النظرة التى لا تقاوم . شريف كما أصبح يطلق عليه فى الغرب !!

كانت هناك أخبار عن قصة حب بدأت تنسج خيوطها بين فاتن حمامة وعمر خلال ظهورهما لأول مرة معًا فى فيلم «يوسف شاهين» صراع فى الوادى - ولكن فيلم حلمى حليم (أيامنا الحلوة) أكد كل شئ خلال العمل فى الحارة التى بناها المخرج ليصور لقطات من فيلمه ، كانت العيون تتسع على آخرها لتراقب عمر وفاتن .

ولم يكن فيلم «أيامنا الحلوة» ينتهى حتى تزوجت فاتن حمامة عمر الشريف - التقى برج الحمل وبرج الثور ضد كل قواعد البروج !! وأصبح ما كان يتردد همسًا من شائعات الحب بينهما واقعًا قائمًا بالفعل . كانت فاتن قد طلقت قبلها من عز الدين ذوالفقار . . وكان عمر الشريف أشهر إسلامه تخلى عن ديانته المارونية المسيحية لكى يتمكن من الزواج منها . . وتزوجها فعلاً .

واعتقد عمر الشريف أن نبوءة العرافة السكندرية قد تمت بنجاحه فى السينما وزواجه من فاتن حمامه ألمع النجوم فقد فتحت له العرافة حينما قرأت كفه : أعتقد أنك ستكون ملك ومشهور . . حاجة زى كده . أن خطوطك تلمع !! ولم يعلم بأن الخط كان بدايته فاتن حمامه ؟!

وأحدث خبر زواج فاتن حمامة وعمر الشريف عاصفة هوجاء فى الوسط السينمائى ، وبين الجماهير فى مصر والعالم العربى . . فى الوسط السينمائى كان المخرج يوسف شاهين بعد أن أخرج فيلم «صراع فى الوادي» لفاتن حمامة وهى مطلقة بالفعل من المخرج عزالدين ذوالفقار ، يتصور أنه أقرب الناس إلى الزواج من سيدة الشاشة العربية ، وكان فى ذهنه أن هذا الزواج لو تم سيحقق معجزة سينمائية ، واعتبر ما أقدم عليه عمر الشريف خيانة شخصية له من الفتى الذى صنع هو له مجده كبطل أمام فاتن حمامة فى فيلم صراع فى الوادى - وفجأة حاول يوسف شاهين الانتحار - ونقل إلى المستشفى وقد قطع شريان يده كرد فعل لفشله فى حبها والزواج منها ، ولم يكن هو وحده الذى يفكر فى الاستحواز عليها (كان هنا «رمسيس نجيب» الذى أنتج لها فيلم (إرحم دموعي) و (الطريق المسدود) وظهرت فى الصحافة المصرية والفنية موجة

ضد فاتن حمامة . . أنها تزوجت من شاب إسمه «ميشيل شلهوب» اتهموه باليهودية . واتهموها بأنها تخلت عن انتمائها لجماهير مصر التى أحبتها - كان هناك طابور طويل من المتشنجين الذين عالجوا زواج فاتن من عمر على هذا النحو ولكن الناس لم يكونوا يعرفوا (فاتن حمامة) . . ولا برج الحمل !!

كانت أدوار فاتن فى تلك الأيام البنت المغلوبة على أمرها - المظلومة التى لا تستطيع أن تخرج من بيتها أو تتزوج من تحب ولكن الشئ الغريب فى حياة فاتن حمامة أنها لم تتأثر فى حياتها الخاصة بأفلامها السينمائية فثارت وهى فى السادسة عشر على أهلها ، وخاضت معركة هائلة من أجل أن تختار الرجل الذى تتزوجه ، واصطدمت بأسرتها وقالت يومها قولة مشهورة «أننى قبلت على مضض أن تختارو لى ملابسى ولكنى أرفض أن تختارو لى زوجى !!

واختارت زوجها برغم معارضة أهلها ولكن هذا الزواج فشل ، وظهر أن أهلها كانوا على حق كان عمرها ١٦ سنة وكان قد مضى عليها سبع سنوات نجمة !! وعندما دخلت الزواج فوجئت أنها دخلت العنوان الخطأ ، وأنها كانت فقط تريد أن تلبس فستان عارى وحذاء بكعب طويل وسرعان ما عادت إلى أسرتها التى كانت شديدة القبضة عليها غسلت وجهها من الكحل والبودرة وتركت الزواج وعادت تحت سيطرة أمها من جديد .

فالضغط يجعل برج الحمل قوى . . أنه برج نارى تعطيه المريخ قوة الثورة . . ولذا لم يهمها ما حدث . . ولا كلام الناس وأمسكت فى برج الثور بيدها وأسنانها أقصد عمر الشريف !!

وفى أواخر سنة ١٩٥٤ انتقلت فاتن حمامة وعمر الشريف إلى ڤيلا من ڤيلات برج الزمالك - وفى ذلك الوقت زارتها ممثلة يابانية مشهورة اسمها «ماتشيكاكايو» كانت تريد أن تلتقى ببعض نجوم السينما المصرية وبخاصة (فاتن . . أو همامة) كما كانت تنطقها . . وزارتها فى ڤيلتها بصحبة الصحفى عبد النور خليل سكرتير تحرير مجلة « أهل الفن » وقتها - وفى هذه الزيارة أثناء الحوار بين النجمتين فاتن واليابانية أطل من قمة الدرج الحلزونى عمر الشريف - وكان نظام أبراج الزمالك وقتها . . قد بنى على أساس ڤيلل من طابقين فى كل شقة - وبينما يتهاوى عمر الشريف فى قميص نصف كم مفتوح الصدر وعيناه الثابتة تنظر فى ثقة حدث شئ فى الجلسة . . استطاع بلباقة أن يستحوز على اهتمام « ماتشيكاكايو » وبخاصة أنه يجيد الإنجليزية وأكثر من لغة أخرى . . وأظهرت فاتن حمامة التملل فى الجلسة . . واستأذنت أكثر من مرة بحجة العناية بابنتها من ذو الفقار . . [المعروفة بنادية التى كانت وقتها فى سن السادسة . التى ظهرت فى السينما فى نفس سن أمها عند ظهورها فى فيلم (يوم سعيد) . . ظهرت نادية مع أمها فى فيلم (موعد مع السعادة] . ثم أن عمر الشريف فعل شيئًا اعتربته فاتن حمامة يدل على الجليطة منه . . فقد قال لما تشيكاكايو أن شعرها درجة سواده لا يمكن أن يكون ليابانية وإنما لمصرية جداً . . وكانت وقتها فاتن قد صبغت شعرها بلون برونزى . . فظهر وكأنها لا تعجبه ! !

وحكى عبد النور خليل ما سمع للوردانى رئيس تحرير المجلة - وكلفه الوردانى بأن يكتب مقالاً يقول فيه : أن صبغ فاتن حمامة لشعرها برنزى يعنى أنها قد انتقلت من العالم الذى عرفه الجمهور إلى عالم

آخر - وأنها لم تعد بنت البلد والناس الطيبين فى الحارة ، وأن ذلك ليس بسبب الزواج لأن عمر الشريف يحب لون الشعر الأسود المصرى حتى فى اليابانيات !!

وبدأت، أشياء أخرى تحدث غير الخلاف بين برجى الثور والحمل .

خلاف بين تربية ونشأة كل من فاتن وعمر . . طقس مختلف . وحياة مختلفة . . لم يكن الحب أقوى منها فعمر الشريف ابن أسرة رومية متحررة ، حتى أنه لم يحدث فى علاقاته بعائلته شئ حينما أعلن إسلامه فالكنيسة لم تكن فى حياته مربط الفرس !!

ثم أنه متعلم فى مدارس أجنبية وأسبور قوى فى مسائل المرأة والرجل !!

وفاتن حمامة ابنة أسرة وأم برجوازية متزمتة . . من عابدين فى منزل بشارع اسماعيل أبو جبل وتعليمها توقف على إرادتها . . وهى عندها حدود وقواعد وأصول لما يجب أن يكون بين المرأة والرجل ليس على مستوى الفعل ولكن على مستوى القول أيضًا !!

وجاءت الفرصة لعمر الشريف فأهتبلها « هذا التعبير من تعبيرات اللغة العربية للدكتور طه حسين » . . ويقصد بها أنه أمسك بالفرصة بأيده وأسنانه . .

نسى حبه من أجل مجده - نسى تضحيات برج الحمل من أجل برج الثور . . نطح الثور وسافر وبدأ طريق العالمية بفيلم « دزيفاچو » !!

أن الحوار الذى ظهر فيما بعد . . وبعد حوالى ١٤ سنة من الفراق بين فاتن حمامة وعمر الشريف ، بين محمود يس وفاتن حمامة فى فيلم « الخيط الرفيع » هو أحسن تعبير عن ما قالته فاتن لعمر عند سفره . .

كان هذا الفيلم هو قصة ما فعلته فاتن وبرج الحمل . . لعمرو برج الثور - ولا يزال أفضل مشهد طويل وأحلى حوار فى السينما العربية هو ما جاء فى « الخيط الرفيع » !!

والحقيقة أن فاتن حمامة فعلت أكثر من الفيلم فى الحقيقة . . أنها سافرت وراءه . . قائلة ماذا يقولون ذهبت وراء من تحب ؟! ولكن مع مرور الأيام ونهاية القصة . . قالت فاتن حمامة فى شهادتها بأنها تركت مصر فى تلك الفترة هربًا من مطاردات صلاح نصر ورجاله !! ولكن التحفظ الوحيد على روايتها هذه . . هو قلبها . . فقد تركت مصر بعد أن رشح عمر الشريف لبطولة الفيلم العالمى « لورانس العرب » وبدأ يدخل فى العالمية . . ولما كانت واحدة من الذين صنعوا عمر الشريف فقد أحست بعد انفصاله عنها وانطلاقه للعالمية بأن جرحًا قد أصابها فى عمق .

فقامت ببيع عمارتها فى مصر الجديدة والتى لا تزال تحمل اسمها حتى الآن - وتركت مصر !

وحاولت أن تلحق بنفس القطار الذى ركبه عمر الشريف مثلت فى فيلم إنتاج إيطالى . أسبانى » وصورت بعض مشاهد فى المغرب . . وكان دورها صغيراً فى الفيلم . . تمامًا كدور أحمد رمزى فى فيلم « ابن سبارتكوس » . . ولما فشلت فى اللحاق بعمر . . والعودة له . . بدأت حرب إعلامية . . نسائية . تثبت فيها أن عمر الشريف حرفوش وصل لقلبها صعلوك جاء خطأ . . وانتشرت شائعة عن قصة حب بينها وبين المليونير السعودى الذى يعيش فى تركيا « غازى شاكر » وهو أشهر عربى وقتها فى عالم السيارات . لكن الشائعة لم تكن محبكة . . لأن غازى

شاكر كان زوجًا لابنة « رياض الصلح » رئيس وزراء لبنان السابق ماتت الشائعة في مهدها !!

وعندما عادت فاتن لمصر بعد النكسة لم تجد ما تبرر به هجرها لمصر ومغادرتها لها إلا أن تقول شهادتها . . ولكنها خارج التاريخ !! لأنها شهادة بالعقل . . وليست بالقلب !!

ومع مرور الوقت رد لها عمر الشريف الصفعة أو الإشاعة وظهر له كتاب عن حياته أو مغامراته مع الآخريات صوفيا لورين - وكلوديا كاردنيالى وغيرهن وظهر كدنچوان الشرق معشوق نساء الغرب . . وأثبت أنه ليس الصعلوك أو الحرفوش الذى جاء خطأ فى حياة فاتن حمامة . . بل هى التى جاءت فى بداية الكتاب !! ولم تحتمل فاتن بعد الكتاب . . تململ برج الحمل . طلبت الطلاق رسميًا الانفصال لا يكفى . . فلا أمل .

أما عمر الشريف فلم يتزوج أن له عبارة يكررها فى أحاديثه الصحفية : الحب ممكن يكون إيطالى . إنجليزى . فرنسى ولكن الزواج لا يكون إلا مصريًا !! أو كل النساء تسلم لك بعد الزواج إلا المصرية يجب أن تسلم لها أنت بالزواج !! - أو إذا كان الزواج محطة نهائية لابد منها مع المرأة . . فإننى أفضلها فى بلدى مصر !!

أما فاتن لم تستطع إلا أن تتزوج - ولكنها بعد أن اكتوت بتجارب الزمن - أن تفصل بين (فنها) و (حياتها الشخصية) وارتاحت أن تتزوج من شخص ليس له علاقة بالفن . . لقد جربت رجلين من أهل الفن . فلماذا لا يكون الزواج الثالث من شاطئ أخر وتزوجت أستاذ الأشعة المرموق د. محمد عبد الوهاب - اسم فنى ولكنه بعيد عن الفن أنه فى الطب !!

وأصبحت لها عبارات متزنة متحفظة عن العلاقة بين الرجل والمرأة . . مثل الستر القسمة والنصيب الاحترام المتبادل هو الأساس ! ! وأغلقت فمها بالقفل عن والد نادية « عز الدين ذو الفقار . وعن والد طارق » عمر الشريف ولكنها لا تزال تتفاءل بيوم الأحد كمواليد برج الحمل وإن كان يوم الثلاثاء هو أسعد أيامهم كما يقول طالعهم . . وتعشق فنجان القهوة . . وتحب أن تقلبه . وتبحث عن من يأتى ويقرأ الغيب المحوج ! !

وهى لا تشرب القهوة إلا مع القريبين لها وتقول عبارة « حاشرب وياك » .

وتقول لك ممكن عشرة يشربوا شاى . . ولكن عشرة يشربوا قهوة . . صعبة ! ! أنا أعتبر القهوة مشروب له خصوصية-وفى سنة ١٩٨٧ شربت معها القهوة ونشرت عنها حديث نشر فى مجلة (المجلة) ! ! وإن كانت فى هذا الحديث قد قالت أنا لا أفهم يوسف شاهين وقالتها (چو) الأن ولذا فنحن لا نتعاون . . . ولم تقل أن حبه القديم لها ، جعلها تمنع نفسها من فنه وأرجو ألا أعامل بنفس الطريقة التى عومل بها مصطفى أمين من (؟!! سنة) حينما كتب أكتب لكم من سرير فاتن حمامة . . فما أكتبه من قلب فاتن حمامة . . ألف سلامة لهذا القلب . . وهذه الإنسانة ! !



٦

بقُبلات منيرة المهدية وآهات أم كلثوم ... مات الصحفى الكبير !!

منيرة المهدية أغنيتها المشـهورة « يا بلح زغـلول يا حلـيوة يا بلح ، عليـك بنادى فى كل نـادى ، يا بلـح يا حليـوة يا بلح » ، وانتشرت الأغنية ، وأصبحت على لسان النساء والرجال والباشوات والفلاحين حتى تحولت إلى ما يشبه النشيد الوطنى تحديًا لأمر قائد جيوش الاحتلال !

والمعنى إن المهم الرمز ، وزغلول موجود . . سعد موجود .

وفى مذكرات كل من : عبد الخالق ثروت باشا وإسماعيل باشا ما يفيد أنهما كانا يترددا على الفنانة منيرة المهدية ! !

ثم أن منيرة المهدية لهـا أغانى مشـهورة (أسـمر ملك روحـى) و (عصفورى يامة عصفورى) وهى قادرة على أغانى صعبة لسيد درويش وداود حسنى وهى أول من وقفت على المسرح وألفت فرقة مسرحية مثلت على مسرح « بريتـانيا » روايات : كلها يومين لحنها سـيد درويش وكليـوباترا ولحنهـا سـيد درويش وأكملهـا محمـد عبد الوهاب ! !

وأصبحت منيرة المهدية المطربة الأولى فى مصر بلا منازع ، وفجأة جاءت أم كلثوم إلى القاهرة ، وأحست منيرة المهدية أن العرش الغنائى يهتز تحتهـا وسمعت أن الجماهير جنت بغناء أم كلثوم فلم تصدق ما سمعت ، وفى إحدى الليالى ارتدت ملاية لف سوداء ، ووضعت على وجهها برقعًا وارتدت شبشبًا فى قدميها حتى تبدو كبنات البلد وصاحبت معها الممثل محمد بهجت وذهبت إلى مسرح رمسيس حيث كانت تغنى أم كلثوم ، واشترت منيرة تذكرة فى أعلى التياترو ، وهى أرخص مقعد

فى المسرح ، وجلست منيرة المهدية تسمع أم كلثوم والجمهور يهلل وشهدت سيطرة أم كلثوم العجيبة على المستمعين ، وهى تتحكم فيهم بصوتها الخلاب وتجعلهم يرقصون فى مقاعدهم ، ويترنحون على نغماتها ، ويهبون واقفين مصفقين لها هاتفين بحياتها ! ولم تحتمل منيرة المهدية أن تحضر أكثر من الوصلة الأولى من غناء أم كلثوم فتركت المسرح غاضبة ساخطة على غباء الجمهور وجحوده وقلة ذوقه ، عادت إلى عوامتها فى النيل وهى تكاد تجن سخطًا وغضبًا ، وأخذت تفكر كيف تقضى على هذه الفتاة الصغيرة التى جرأت على عرشها وأصبحت تهدد سلطانها !

وهداها شيطانها إلى حيلة غريبة للقضاء على المنافسة الخطيرة .

فقد قال لها أولاد الحلال . . أن سر أم كلثوم فى شلتها ، أنه الإعلان والصحافة . . وأنها كما شاهدت لا صوت . ولا صورة . . وإنما بربجندة خايبة ولكن الغريب أنها صدقت هذا الكلام رغم أنها ذهبت ورأت وسمعت ! !

وسألت من معى من الصحفيين ؟! وقالوا لها : يا ست الستات كل الصحفيين يحبوا الليل والسهر شورى تلاقيهم عند قدميكى ! ! وقالت : أنا مش عايزة اللى تندب فى عينهم رصاصة ، عايزة القطط المغمضة ، الرومانسيين ! ! واستغربوا ولكن أشاروا عليها باثنين فكرى أباظة وعبد المجيد حلمى . وسألت من أكثرهم استقامة وقلة خبرة وقلة شهرة وحاجة وتعجب الجميع ولكنهم قالوا لها : عبد المجيد حلمى رئيس تحرير مجلة « المسرح » وقلمه عنيف وهو صعيدى وشاب لم يسبق له نزوات ولم يعرف عنه مغامرات فى عالم العشق والهوى .

وقررت منيرة المهدية أن تقع فى غرام الصحفى الشاب ، ودعته إلى الغذاء فى عوامتها وبعد ساعة واحدة كان يجلس تحت قدميها يبادلها عبارات الشوق وهى تلقى البترول على قلبه المشتعل فتندلع النيران !

وخرج عبد المجيد الطيب من عند منيرة وهو مقتنع بأنه حبها الأول والأخير ، وأصبحت مجلة المسرح هى مجلة منيرة المهدية سلطانة الطرب فى مصر والشرق ! وبدأت مجلة المسرح تهاجم أم كلثوم وقالت فى ١٧ يناير ١٩٢٧ ، أم كلثوم لها مئات العشاق ولا أدرى ماذا يحبون فيها ، فهى ليست على شئ من الجمال ولا خفة الروح ولا سلامة الطبع .

وفى ٣١ يناير سنة ١٩٢٧ كتبت مجلة المسرح تقول « إن أم كلثوم نجمها قد غرب » وفى ٣١ يناير أيضًا كتبت مجلة المسرح تقول « أم كلثوم قدمت وهى بنت صغيرة شكوى لمحكمة السنبلاوين بأن شابا من القرية اغتصبها » ووعدت بنشر نص الحكم ولم تنشره أبدًا لأنه كان خبراً مختلقًا ، ولكن هذا الخبر كاد ينجح فى إعادة أم كلثوم إلى قريتها فقد قرأه والدها الشيخ إبراهيم وأقسم ألا تبقى أم كلثوم بالقاهرة بعد أن بزغ نجمها ولكن الأب أصر لولا أن صديقا للأسرة حضر فى تلك اللحظة واستطاع أن يقنع الشيخ إبراهيم بالبقاء فى القاهرة الملعونة .

وفى يوم ١٤ فبراير سنة ١٩٢٧ كتبت مجلة المسرح تقول « أم كلثوم يلذها أن يتطاحن الأصدقاء ويهان الناس فى ، وكانت مثالاً للزراية بعظمة الرجال والعبث بعقول الشبان والاستهتار بقلوب أولئك الذين أوقعهم سوء الحظ فى حبالها ، أليس فيهم من طلق امرأته من أجلها ؟ أليس فيهم من أصبح هزأة للناس من أجلها ؟ أليس فيهم من

قاطع أهله وأصدقاءه من أجلها ؟ أليس من أخذت ثروته فى التلاشى والسهر من أجلها ؟!

وهى ماذا صنعت من أجلهم ؟ حتى ولا شفقة ولا رحمة ! أيها الرجال ! اسمحوا لى أن أهزأ أنا بدورى منكم جميعًا ، ليس فى نفوسكم شمم ولا أباء ، ليست فيكم نخوة ولا رجولة ليس لكم شرف ولا كرامة إن أنتم إلا ألاعيب تحركها امرأة طائشة يلذ لها العبث المجرم والاستهتار الكامل ، اختفوا من أمامنا أننا نحتقركم جميعًا ! أنقذوا أنفسكم أولاً ثم تعالوا إلينا ، طهروا أيديكم وأنفاسكم ثم اختلطوا بنا ، يا رجال الشهوات الميتة والنفوس التى لا تشعر ولا تحس ، ما أنتم إلا عبيد امرأة بلا قلب » .

ولكن هذه الحملة العنيفة القاسية على المعجبين والمتحمسين للمطربة الشابة أم كلثوم لم تصرف الناس وفجأة جاء أولاد الحلال وقالوا لنغير ونعدل سنضرب أم كلثوم فى المسرح وبسرعة أقنعت الست منيرة عبد الوهاب باكماله لحن سيد درويش (كليوباترا) . . ونجحت الفكرة مرحليًا عندما نشر الأستاذ فكرى أباظة مقالاً فى الأهرام بعنوان « معجزة الموسم » ويكتب عن ذلك الأستاذ « مصطفى أمين » فى كتابه (شخصيات لا تنسى) . . رغم أن مصطفى أمين أحد من قال عنهم ولاد الحلال لمنيرة المهدية كلام . كثيراً !

قال فيه « منيرة وعبد الوهاب يغردان تغريد البلابل ، والجمهور يضج ضجيج الإعجاب العنيف بعد أن أخذت منه الدهشة كل مأخذ ، واستولى عليه ذهول الخاشع أمام السحر الحلال مجرم فى حق نفسه وحق

الفن من لا يشـهـد رواية كليـو باترا فى الحـال مـجـرم فى حق النبـوغ والعبقرية من لا يبادر بإذاعة خبر هذا النصر الحاسم ، والنجاح البالغ عنان السماء ! .

وأبدت منيرة إعجابها الشديد بفكرى أباظة وغار عبد المجيد من فكرى أباظة وكتب مقالاً فى مجلته يقول فيه . . وقامت الدنيا ، وتحدث الناس عن هذا الإعلان الغريب ، وقال يومها الناس كم تقاضى فكرى أباظة ثمنًا لهذه الكلمة ؟ ولكن الناس لا يعرفون الحقيقة ، انتهى الأول من رواية الناجح الباهر ، ودخل مع الجمهور فكرى أفندى أباظة وظل واقفًا ينظر إلى السيدة منيرة وهى تحيى هذا ، وتبتسم لذلك ، فهذا ينحنى لها ، وذلك يقبل يدها اليمنى ! حتى انتهى الدور إلى فكرى أباظة ، ومرت به السيدة بكل عظمة ، فانحنى حتى كاد يمس الأض بجبهته ، فقدمت إليه يدها فقبلها ، لا كلمة . . ولا ابتسامة ! هذا هو الثمن الذى تقاضاه فكرى أباظة ليكتب تلك الكلمة » .

واشتعلت نار الغيرة العمياء فى قلب الصعيدى الشاب عبد المجيد وفى يوم ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٧ كتب يقول لمنافسة :

(هى امرأة واحدة نحبها نحن الاثنين يا صديقى . أهو القدر يعبث بنا أم نحن نعبث بها ، أم هى تلعب بنا جميعًا ؟ قلت لى فى مقابلتنا الأخيرة أنها باحت لك بغرامها ، وأنها تحبك من دونى ولولا أنها تخشانى لنفرت منى أبعدتنى عنها ، ألم تذكر أنها قالت ذلك ؟ وفر عليك جهدك فقد سمعت منها هذه الألفاظ عنك إذن هى تعبث بنا جميعًا ، أحدنا تخشاه والآخر تجد مصلحتها فى استرضائه ، ومع ذلك

فأنت تعبدها وتطمع فيها وتغار عليها ، أما أنا فأحبها بلا عبادة ولا طمع ولا غيرة) .

وفى ٧ مارس سنة ١٩٢٧ كتب عبد المجيد حلمى إلى حبيبته يقول « كان الشرط ألا نتراسل ، مهما جد فى غرامنا ، ومهما وقع لنا ، ولكنى أحب أن أقص فى غيبتى مالا أستطيع ذكره أمامك » ، نذالة فى الرجل يا سيدتى أن يغدر ، ولكنها طهارة أيضًا ألا يكون مخادعًا ولا غشاشًا ، وأنا اليوم أغدر بك ، ولكنى لا أغشك ولا أخدعك . . كنت أنت النار التى أشعلت ؛ جسمى ، ولا أقول قلبى - ولكن هذا القلب كان يدق حين يشعر بالالتهاب . فظننت أننى أحبك ، ظننت أننى لا أستطيع أن أعيش إلا لك أو من أجلك وفى سبيلك وفى ذلك النهار الممطر الذى قضيناه معًا فى منزلى ، فجأة دفعتك عنى كشئ قذر تمرغت فيه برهة ثم عافته نفسى فتنصلت منه أصبحت « لا شئ » فى حين أنك منذ دقائق كنت « كل شئ » كنت أعتقد أننى أحبك وأننى لا أستطيع فراقك كنت أغار عليك حين تمدين يدك بالسلام لمخلوق ما وكنت أحترق حين أراك تبتسمين لشخص آخر كنت لا أطيق مجرد التصور أن رجلاً غيرى نظر إليك وابتسم لك . . أما الأن فلا أتمنى على الله إلا أن يبعدنى عنك إلى الأبد » .

وقالت منيرة المهدية . . هذا الحشرة . . يتركنى أنا . . يترك ست الستات . . لست المرأة التى يتركها رجل أنا الذى أترك . . وجن جنون برج الحمل برج منيرة المهدية آه من برج الحمل . . وآه من امرأة يبدأ اسمها بحرف الميم إذا قررت الانتقام والثورة .

وجاء أولاد الحلال . . وقالوا لها : شبشبى له . . أسحرى ليه . . وقالت إيه الكلام الفارغ ده . . وقالوا لها وصفة معروفة بعض الآيات وبعض الطلاسم تكتب على ورق بالزعفران وتغسل بالماء ويشرب منها المحبوب !! أو شئ من أطره قطعة قماش منديل وتعرف اسم أمه ونعمل له عمل . .

وقالت الاثنان معا . . ابن الـ. . . . . . وابن الـ. . . . .

وفى ٢١ مارس سنة ١٩٢٧ كتبت عبد المجيد يقول « كنت لا أبصر امرأة يا صديقى لا هزأت منها واستهترت بها ، فأصبحت الأن لا أبصر امرأة إلا أحببتها وتمنيت أن تكون فريسة أعبث بها وكما تسقط المرأة وتصبح تتاجر بنفسها وجسمها ، وتنتقم من الرجال جميعًا ، لأن أحدهم كان علة شقائها وهاوية سقطها ، كذلك أريد أن أنتقم من النساء جميعًا ، لأن إحداهن كانت سبب شقائى وعلة بلائى » .

وفى ٢٨ مارس سنة ١٩٢٧ يكتب « وصلتنى رسالتك منذ ساعات . . ورقة بيضاء فيها سطران وكلمتان . . « افتح الدرج الأسفل فى مكتبك ، هناك وردة ذابلة أعدها إلى هذا كل ما تطلبين ، حقًا لم يبق غير هذه بعد أن أخذت كل شئ ، ألم تأخذى قلبى سالمًا فترديه عليلا ؟ ألم تأخذى جسمى صحيحًا ، لتعيديه سقيمًا ؟ أليست عواطفى وشعورى معلقة عليك فى الحياة ؟ إذن لم يبق شئ سوى الوردة الذابلة تستعيدينها ؟ هذه الوردة التى كانت كل سلوتى والتى أجمع فيها أحب تذكارات الهناء ، وأقسى ذكريات الألم ! ولكن سأعيدها إليك أيضًا » .

وفى يوم ١٨ أبريل سنة ١٩٢٧ كتب إليها يقول « أصدقائى يصورونك لى بصورة بشعة ، ويردونك ويتهمونك ، وما يزيدنى ذلك إلا حبا فيك ، وشغفًا بك وحنينًا إلى لقياك ، أن حديث السوء عنك يصيب جرحًا فى عاطفتى فيذيبها ، المرأة التى أحببتها يحتقرها الناس ؟! .

وفى يوم ٩ مايو سنة ١٩٢٧ كتب عبد المجيد لها يقول « أنت طاغية فى حبك الأبلة ، طاغية فى تفكيرك الجنونى ، طاغية فى عبثك الأثيم ، طاغية فى استهتارك السخيف ، طاغية فى إحساسك والشعور ، ومصرع كل طاغية رهيب .

فهل هذا بسبب الحب . . أم بسبب السحر أم بسببها معًا ؟!

وسقط عبد المجيد حلمى صريع الحمى والحب ، وارتفعت درجة حرارته ، وأصبح يهذى ويذكر اسم منيرة . . منيرة ! وآفاق من غيبوبته ليكت يوم ٦ يونيو ١٩٢٧ : « الأن وقد مضت على الأيام الستة وأنا فريسة المرض ، بدأت الخيالات تمر أمامى تباعًا وفى يوم من الأيام السوداء ، أعيد على ذكرياتى الماضى بعيدة وقريبة ، فيشتد الألم وتزداد قواى انحلالاً ، تألفت على عناصر الطبيعة تريد أن تصرعنى وتالبت لتغلبنى ووقفت لها أحتمل ولا أدفع ، وأصبر فلا أجزع ، حتى ثقل الحمل ودنا المصرع ! » .

واشتد الألم على عبدالمجيد وذهب أصدقاؤه إلى منيرة المهدية يتوسلون إليها أن تذهب إليه ترد له الروح ، فقد كان يطلبها وهو يهذى وكان يتوهم أنها إذا جاءت بقرب فراشه أعادت له الحياة ، ولكن منيرة

رفضت وقالت : إن عبد المجيد مريض بالسل وهى تخشى أن تصاب بالعــدوى .

وقد اغتاظ محررو مجلة المرح فنشروا لمنيرة المهدية صورة على الغلاف لها فى شكل قاتلة وفى يديها مسدس وكتبوا تحتها « السيدة منيرة المهدية كما تريد أن تكون » ، وضاقت منيرة بحصار أصدقاء عبد المجيد فسافرت فجأة إلى سوريا ولكن السحر بلغ مداه بالرجل فأراد أن يلحق بها ومنعه أطباؤه فاضطر أن يسافر لها ووصـــل إلى سـوريا مرهقًا متعبًا وأدخل بالمستشفى وعاد أصـــدقاء عبد المجيد يتوسـلون إلى منيرة أن تزور عبد المجيـد فى المستشفى فرفضت ، وازدادت العلة عليه فعاد إلى القاهرة فى أوائل يوليو ١٩٢٧ ثم تضاعفت العلة وأصيب بضعف شديد وأصر أن يسافر إلى أسيوط موطنه الأصلى ليموت هناك ، وفعلاً سافر إلى هناك وأسـلم الروح ودفن هناك .

ويكتب عنهـا مـصطفى أمين فى « أخـبـار اليـوم بتـاريخ ١٨/ ١/ ١٩٨٦ » تحت عنوان « المطربة التى قـتلت الصـحـفى . . والصحفى الذى دفن المطربة » يقول :

وفى يوم ١٠ أكتوبر ١٩٢٧ كتبت مجلة الناقد : « الذى قتل عبد المجيد هو ظهور نكران الجميل والخيانة والغدر ، هوجم عبد المجيد من الخلف وأرسلت له السيدة منيرة المهدية أختها لتذهب له وتقول أية يا سى عبد المجيد . . أنت عيان بالسل مش تسافر ؟ لحسن تعدينا . . دول الممثلين مش راضين يشتغلوا !! » .

وفى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ كتب الناقد يقول :

« كانت منيرة المهدية تؤثر في عبد المجيد ببكائها وتطيل شعرها لكي يهاجم خصومها ، واليوم وقد قضى المسكين فإن في السماء إليها يمهل ولا يهمل وسيسألك : ماذا فعلت بعبد المجيد ؟ احترمي الموتى يا شر مثال للخيانة والغدر !!

وفي يوم ١٧ زكتوبر ١٩٢٧ كتبت مجلة الناقد تقول :

« كانوا في القدس ، وطلبت منيرة إلى عبد المجيد حلمي على لسان مراد عبد الرحمن خادمها أن يسافر لأن الفرقة لا تريده خوفًا من العدوى . . وأقسم له الممثلون أنهم لا يخشون منه شيئًا . . ورأت منيرة ذلك فكلمت قنصل مصر في القدس لكي يأمر عبد المجيد حلمي ، لم يعبأ عبد المجيد العنيد ، وهو المشهور بصلابة رأيه ، أرسلت منيرة إليه أن مكتب الصحة يطلبه وألا يعمل حجر لفرقتها فرقة منيرة المهدية يا للفظاعة والبشاعة ليس هو الطاعون ولا الوباء الأصفر ولما ذهب عبد المجيد إلى مكتب الصحة أظهروا دهشتهم لذلك ، وثاروا أنهم لم يطلبوه ولا داعي لذلك أبدًا » .

وهبت العواصف من كل مكان تقتلع منيرة المهدية من عرشها البعض لعنها ، والبعض هاجمها والصحفيون أهملوا أخبارها ، والجمهور قاطعها ومضت منيرة تقاوم الصحف كلها والمجلات كلها والنقاد كلهم ، كل أصدقائها تخلوا عنها حكموا عليها بغير محاكمة رفضوا أن يسمعوا شهودها أبو أن يكون لها حق الدفاع عن نفسها ! كان عبد المجيد معبودًا بين الشباب فقاطعوا مسرحها ، وأطلقوا عليها اسم القاتلة ، وذهب بعض الناس إلى الشوارع ينتزع إعلاناتها الملونة أو يعمى عينيها الجميلتين المطلتين من إعلانات الحائط .

إن منيرة المهدية لم تقتل هذا الصحفى وحده ولكنها تعودت على أن تقتل قلوب كثيرة . . فلقد أحبت وتزوجت من بطل المصارعة حسن كمال ثم هجرته وطلقته فلقد كانت العصمة بيدها لأنها أحبت أخيه وبعدها تزوجت هذا الأخ الأصغر . . إبراهيم كمال . . وسقطت أم الأخوين ميتة بعد سماعها بهذا الزواج . . ولكن من يقاوم هذا الطول والعرض والشخصية والإغراء العصبية - أنها مدت يدها ليسلم عليها رئيس مجلس الشيوخ حسين رشدى باشا فوجد الرجل نفسه يقبل يدها وتحدث أزمة فيقول الوزير بسذاجة « ليس فى الدستور المصرى مادة تمنع رئيس مجلس الشيوخ من أن يقبل يد مطربة » .

كانت منيرة المهدية تحب شئ واحد . . هو منيرة المهدية إن آى واحد أحبها قال هذه العبارة « أنا وهى نحب شخصًا واحدًا - هى » !!

وإذا احتاجت لشئ لم تفصل بين الحب وما تحتاجه . وتفعل هذا قبل الحب تمسح وتكنس وتهب كل شئ ولها صوت مؤثر وكلام مؤثر وخطاباتها قصيرة ولكن فيها مقاطع من أغانيها . . أو أغانى الأخرين ولكن فجأة تتوقف عن خدمتك . . وتبدأ فى كنسك من حياتها وكويك بغيرها . .

أما الصحفى عبد المجيد حلمى فهو صاحب هذه العبارة « قلبها من ذهب » : جامد ، لامع ، بارد !! » ولكنها الوحيدة التى تصنع الحب بالكتابة بالزعفران والسحر على الورق الأبيض هل أحببت الصحفى أم كرهت أم كلثوم ؟!

أما أم كلثوم فقد فعلتها معها بذكاء وعلى عينك يا تاجر وبمنتهى البراعة والطيبة أرادت أن تنهيها للأبد . وبالعقل لا بالسحر !! . . قررت أن تتركها تغنى ليقارن الجمهور !!

وعن ذلك يحكى « مصطفى أمين » :

وفجأة سألتها :

وأية حكاية عبد المجيد ؟

قالت فى استغراب : عبد المجيد مين ؟

قلت : عبد المجيد حلمى صاحب مجلة المسرح .

قالت : آه . . آه . . عبد المجيد دى حكاية بسيطة ، كان يحبنى حبا جنونيًا وكنت أعطف عليه لطيبته وبراءته ولكنى لم أحبه لأن غيرته كانت كالإعصار تحطم كل شئ أمامها !

ومضت الأيام وانقطعت منيرة المهدية عشرين سنة عن الغناء ، وذات مساء اتصلت بى أم كلثوم تليفونيًا وقالت لى : « إننى أدعوك معى فى حفل ساهرا اشتريت بنوار فى صالة بديعة وستغنى منيرة المهدية ، وأنا أريد أن أشجعها وأصفق لها وألحت إلحاحًا عجيبًا أن أصاحبها .

وذهبنا وغنت منيرة المهدية وياليتها ما غنت ، كان صوتها أشبه بالاسطوانة المشروخة ، فقد صوتها حلاوته وبحته ورخامته وجاذبيته وكانت أقرب إلى ملكة محنطة فى تابوت ترى فيها الماضى الخالد ولا تجد من أثر الحاضر سوى التراب ، وكانت أم كلثوم تلهب يديها بالتصفيق وتزغدنى فى كتفى لاشاركها فى التصفيق ، وخيل إلى أننا وحدنا كنا

نصفق وأن الجالسين فى الصالة انهمكوا فى الحديث عن ذكريات سلطانة الطرب بريقها الفتان ، ظهرت التجاعيد تملأ وجهها بقسوة ووحشية ، انطفأت روحها التى كانت تملأ المسرح حيوية !

لم تكن منيرة المهدية !

كانت شبح منيرة المهدية !

فعلتها أم كلثوم وأخذت بثأرها بعد أربعين سنة من واقعة أول مقاله كتبها الصحفى المسحور المتيم عبدالمجيد ضد أم كلثوم وعشقًا لمنيرة المهدية !! .



٧

ماري أنطوانيت ...

علاقة سرية مع التاريخ !!

أصبحت ماري إنطوانيت ملكة إلى جانب زوجها ملك فرنسا لويس السادس عشر ، ولم تكن جاوزت التسعة عشر عاما من عمرها . شابة جميلة رقيقة . . عينان زرقاوان تشعان بالحياة فى وجه أبيض ينبض بالحيوية . . وجسد بض لين ، وشعر أشقر وفير . إضافة إلى أنوثة جد طاغية . . وقد قال فيها الشاعر «هوراس والبول» الانجليزى رغم بروده وكبر سنه وشيخوخته :

– إن مارى إنطوانيت حينما تقف فهى تمثال الجمال . وحين تمشى فهى الأناقة مجسمة .

وقد سجل التاريخ مقارنة بين مارى أنطوانيت ومدام دى بارى عشيقة ملك فرنسا لويس الخامس عشر ! . . ذلك لأن مارى إنطوانيت لم تكن بأى حال أفضل من مدام دى بارى فيما يتعلق بالسلوك والعلاقات . فإن كانت مدام دى بارى زوجة لرجل غاب عن الحياة غيبة غامضة واختارت أن تكون عشيقة ملك فرنسا – لويس الخامس عشر – فإن مارى إنطوانيت كانت زوجة لرجل حاضر هو الأمير الذى صارت معه ملكة – لويس السادس عشر – ومع ذلك عشقت فى حضوره وهى أميرة حتى وهى ملكة ولعل أبرز حكايات عشقها كانت تلك التى ارتبطت فيها مع الكونت «اكسيل دوفيرزن» بعلاقة خاصة جداً حميمة وممتدة . . .

وقد بدأت هذه العلاقة أثناء إحدى الحفلات التنكرية . . إذ أقيم فى الأوبرا مساء يوم الأحد الموافق ٣ كانون الثانى عام ١٧٧٤ واحد من تلك الاحتفالات التنكرية التى يتزاحم فيها المدعوون . . وفى تلك

السهرة حضر إلى قاعة الاحتفال فريق من عدة أشخاص يحيطون بامرأة حسنة المشية ، تضع قناعا من الحرير وتلتف بتلك العباءة الفضفاضة الحريرية التى تسمى «الدومينو» . . وأثناء الحفل اقتربت هذه السيدة ذات القناع من شاب فى التاسعة عشرة من عمره ، وهو سويدى الأصل ، ويدعى «ركسيل دو فيرزن» . .

ونشأ بين السيدة والشاب حوار طويل احتوى على الكثير من العبارات الغامضة والماكرة وبعد فترة تركت السيدة الشاب كى تتجاذب أطراف الحديث مع بعض الحاضرين ، وقد كشف هذا الحديث على الفور عن شخصية السيدة . . أنها ولية العرش «مارى إنطوانيت» . . .

وكان هذا اللقاء بمثابة الشرارة التى أطلقت قصة العشق التى اتخذت فيما بعد أبعاداً أسطورية . . فلم يكن هذا اللقاء هو اللقاء الأخير . وإنما أصبحت هناك دعوات كثيرة توجه إلى فيرزن لحضور الحفلات الراقصة المقامة فى قصر فرساى، والتى تشرف عليها ولية العهد.

وهكذا أصبح «دو فيرزن» من المقربين إلى الملكة مارى إنطوانيت – التى انتقلت من موقعها كأميرة مع زوجها ولى العرش إلى ملكة بعد وفاة الملك والد زوجها فى ذات الفترة التى بدأ فيها غرامها بـ«فيرزن» – فهو من بين الذين يشاركونها اللعب ، والذين تدعوهم إلى سهراتها الخاصة . .

ومن الطريف أن فيرزن كان قد كتب لوالده أثناء هذه الفترة يقول :

- تعاملنى الملكة دائمًا بمنتهى الطيبة واللطف . . وغالبا ما أتوجه لأعرب لها عن إعجابى فى أثناء اللعب . . وهى تتحدث إلى وما . . وقد حدثوها عن الزى العسكرى السويدى الذى أرتديه ، فأعربت عن رغبتها الشديدة فى رؤيتى وأنا أضعه . .

وكانت هذه الرغبة الطفولية من جانب مارى أنطوانيت بمثابة أول دليل علنى على اهتمامها بفيرزن . . ولكن لم تلبث الاشاعات أن انتشرت ، لأن شغف الملكة أصبح ظاهراً ، ولم يترد كثيرون فى التأكيد على أنها عشيقة السويدى . .

وحرص فيرزن على القضاء على حملة النميمة التى أثيرت حوله وحول الملكة . . لذلك عمد الإبحار إلى أمريكا ضمن حملة عسكرية يقودها الكونت «دو روشامبو» . . وفعلا رحل فيرزن إلى نيويورك كمعاون لرو شامبو . . وبعدما عادت الحملة ، فكر فيرزن فى الاستقرار بفرنسا . . ولكى ينال موافقة أبيه الذى عارض الفكرة ، أخذ يلوح له بفكرة الزواج من «جيرمين» الفائقة الثراء ، أو من الآنسة «ليبل» . . ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث . .

أما الملكة مارى أنطوانيت فقد وضعت عام ١٧٨١ وأثناء سفر فيرزن إلى أمريكا مولودها الأول والثانى وسط ابتهاج عام .

ولم تلتق الملكة بفارسها ثانية إلا فى شهر مايو ١٧٨٣ حيث كانت مارى إنطوانيت جالسة فى الصالون الذهبى تعزف على القيثارة فبلغها أن الكونت دو فيرزن جاء . عندئذ لم تتمكن من إخفاء انفعالها أمام الحضور إلا بمشقة بالغة . ولكن لقد تغير فيرزن كثيرا . إنه الآن رجل مكتمل الرجولة . . فقد كبر عشر سنين إلا أنه قد ازدا سحراً وإغراء . . أما الملكة فقد أصبحت فى أوج جمالها بعد أن زادتها الأمومة تألقًا . . ولقد كتبت رسامتها الخاصة مدام «فيجين لوبرين» تقول :

- كانت مارى إنطوانيت طويلة مشرقة رائعة التناسق . . ممتلئة دون ميل نحو البدانة . . وكانت ذات ذراعين بديعين . . وكفين صغيرتين كاملى التناسق وقدمين جميلتين . . وكانت صاحة أجمل مشية بين نساء فرنسا فهى تسير رافعة الرأس بشموخ وجلال فتجعلك تميزها من بين جميع سيدات البلاط والحاشية . . أما الذى يلفت النظر فى محياها فهو ذلك التألق المدهش فى لون بشرتها . .

وكان لابد من الفراق بين الملكة والكونت الشاب . فقد عجز فيرزن عن إقناع والده بما يحتاج إليه من مال . . فذهب إلى مليكه «غوستاف الثالث» الذى كان راضيا عنه ، فمنحه رتبة عسكرية ثم اصطحبه معه إلى إيطاليا . . وكان الفراق قاسيا ، فما يربط بين الملكة وفيرزن هو الغرام الحقيقى . .

وعاد فيرزن إلى باريس ضمن أعضاء الوفد الملكى المرافق لغوستاف الثالث فى زيارته الرسمية لفرنسا . وأقامت الملكة على شرفه

احتفالا رائعًا فى قصر تربانون . . وكان من شأن ذلك الاحتفال أن أسبغ طابعا رسميا على حبهما . .

غادر فيرزن باريس وقد بدأت أولى الرياح العارمة تهب على العرش الفرنسى . . ويرى أن الملكة هى التى طلبت منه الرحيل خشية افتضاح حقيقة علاقتهما . . فى هذه الفترة العصيبة كان هدفها الأساسى هو حماية أغلى فى حياتها وإبقائه فى منأى عن كل الشبهات . . وعندما عاد فيرزن أخيرًا مع نهاية عام ١٧٨٨ كان الغليان قد بدأ فى جوانب الحياة الفرنسية . . وكانت الملكة فى تلك الآونة فى أشد الحاجة إليه أكثر من أى وقت مضى . .

وكان الخطر الأكبر على مارى إنطوانيت قد بدأ عندما نشأت بالبلاد طبقة من الشعب ذات تيارات فكرية جديدة استمدت أفكارها من مؤلفات جان جاك روسو فتبصروا بحقوقهم وغاروا على مصلحة بلادهم ووطنهم بعد أن أصبحت الحالة الاقتصادية فى فرنسا تزداد سوءًا بسبب الاسراف الزائد فى البلاط الملكى والمحسوبيات القذرة الى خلقتها الملكة مارى إنطوانيت . . وزاد السخط أكثر وأكثر بعد أن ارتفعت الديون وانهار الجيش وضاعت المستعمرات ، وغير ذلك من مظاهر الفوضى والفساد ، فى حين أن الدول الأخرى المجاورة تتقدم وتزداد قوة ورقى . . وكان هذا السخط العام كله يتجه صوب الملكة الفاسدة وحدها . . فقد كان الشعب يعرف ويوقن أن السلطة كلها بيدها . . فالملك رجل ضعيف بليد لاحول له ولا قوة . . ويوما بعد يوم ازدادت

الحالة سوءا وازداد السخط . . فكان يجتمع كل يوم عشرات الاحرار وأنصار الدستور وأتباع «فولتير» وعديد من المثقفين ورجال الصحافة والأدباء والفنانين . . كما كان الكونت «دوبروفينس» شقيق الملك من أكبر المعارضين الذين يعملون فى الخفاء على أمل أن يجلس يوما ما على عرش فرنسا .

ولما بدأت الثورة على الملك والملكة تأخذ طريقها فى الظهور بدأ الكونت «دوبرفنس» يعمل جهرا ضد أخيه الملك ، فأخذ يوزع المنشورات المثيرة ضده وضد زوجته مارى إنطوانيت ، حتى أن هذه المنشورات جاوزت حدود فرنسا ، وازداد عددها بكثرة وبطريقة مثيرة ولم تكن من عمل الكونت دوبروفنس فقط ، بل أن كل الطوائف المعادية المطالبة بالثورة اشتركت فى نشر وتوزيع المنشورات ، ووصلت إلى الملكة نفسها . . فقد كانت طوائف المعارضة الثورية تتشعب فى كل أرجاء البلاد . وهكذا وجدت مارى إنطوانيت نفسها محاصرة من كل جانب بالأعداء . . فقد كان لابد أن يستيقظ الشعب المسكين الذى رضخ تحت وطأة النظام الملكى الظالم سنين طويلة ، بل حقبة من الزمن بالقصيرة امتدت على مدى زكشر من لويس ! . . كان آخرهم تعيس الحظ الذى جاءت بجواره على العرش امرأة مثل مارى إنطوانيت ، فكانت من الأسباب الرئيسية التى أدت إلى يقظة الشعب الفرنسى وثورته . . فى عهدها ساءت حالة البلاد إلى أقصى الحدود وزادت الديون ، كما لم تكن من قبل ، وأرهق الشعب بزيادة الضرائب وارتفاع أسعار الخبز ، ورغم هذا كانت تتردد بين الشعب أخبار الملكة المغرورة المتكبرة وإسرافها

الشديد وتبديد الميزانية الدولة فى أمور شخصية تافهة حتى أودت بالبلاد إلى الخراب والإفلاس . . لهذا كله كان لابد أن يثور الشعب ويطالب بالحرية . . فقد أقبل الجميع على قراءة «العقد الاجتماعي» لجان جاك روسو . . ومؤلفات فولتير وديدور التى تقول أن النظام الملكى ليس أفضل الأنظمة ، وليس النظام الوحيد الذى أراده الله . . كما ظهرت فى هذه الأثناء بعض الشخصيات المتحمسة للثورة سواء كان هذا نابعا من مطامع شخصية أو دوافع وطنية . . فقد ظهر سميرابو» الذى لقب «خطيب الثورة» . . كما ظهر لافاييت وروبسبير ودانتون ومارا . . وقد كانت أول مظاهر الثورة الإيجابية هى الاستيلاء على سجن الباستيل فى ١٤ يوليو ١٧٨٩ . . فقد خرج عشرون ألف رجل صوب هذه القلعة التى كانت بمثابة سجن يسجن فيه الاحرار والابرياء ، فاستولى عليها المتظاهرون وعلقوا رأس حاكمها على قمة حربة وراحوا يطوفون به أنحاء باريس . . وكانت تلك هى الشرارة الدموية الأولى للثورة . . وفى يوم ٤ أكتوبر ، فى باريس ، زحفت جموع الشعب الغاضبة رجال ونساء قاصدين قصر فرساى حتى بلغوه بعد مسيرة ست ساعات ، وظلت هذه الجموع الهائجة حول القصر طوال هذه الليلة إلى أن دقت الساعة الخامسة صباحا ، فانطلقت فجأة رصاصة من بندقية كانت إيذانا ببدء الهجوم . . فهرع الثوار نحو القصر من كل صوب بالمئات والألوف مسلحين بالبنادق والحراب والفئوس . . وكان هدف الجميع جناح الملكة ، فقتلوا الحراس الذين قاوموهم ، وحملوا رؤوسهم على الحراب ، وهرعت إحدى الوصيفات إلى الملكة تحثها على الإسراع بالهرب ، ولم

تجد الملكة وقتًا لارتداء جوارب أو حذاء فجرت حافية القدمين وبيدها جواربها إلى جناح الملك . .

وفى خارج القصر كان يقف عشرة آلاف ثائر ، صيحاتهم ترتج لها كل جدران القصر تطالب بانتقال الملك والملكة إلى باريس . . وبالفعل بدأ الموكب الملكى الحزين . . فخرجت من القصر عربة ضخمة تجرها ستة جياد كانت تقل الملك والملكة وجميع أفراد الأسرة المالكة الذين تركوا قصر فرساى بلا رجعة وإلى الأبد . . وأخيرا وصل الموكب إلى باريس وتم السماح للملك والملكة بأن يقيما فى قصر التوليرى ذلك القصر القديم المهجور الذى كان فيما مضى مقر الملوك ، ولكنه منذ عهد لويس الرابع عشر لم يسكنه أحد . . وأوى الملك والملكة فى غرفة مهملة ليس بها أثاث ولا شمعدانات وأبوابها لا تغلق ونوافذها مهشمة . . ولكن الخدم أعدوها سريعا على ضوء الشموع . . ومنذ ذلك الحين أصبح الملك والملكة صورة فقط ليس لهما أى سلطة . . فالسلطة كلها قد أصبحت فى يد الثورة . .

ونعود لدور العشيق «فيرزن» . . فلما كان القصر قد أحيط بالحرس الوطنى حتى لا يهرب الملك والملكة ، وكان كل الخدم تقريبا من الجواسيس . . ورغم ذلك ظلت مارى إنطوانيت على صلتها بعشيقها فيرزن . . فهو الوحيد الذى كان يملك مفتاح الباب السرى المؤدى لغرفة مارى إنطوانيت فى قصر التوليرى . . وقد تسلل إليها ذات يوم وقضى معها الليل بطولة وحدهما . . كما قام بمساعدتها هى والملك والأسرة

المالكة على الفرار من قصر التويلرى إلى خارج باريس ثم خارج الحدود . . وقد بذل فيرزن فى هذا أقصى ما يستطيع من جهد من أجل غرامه وعشقه للملكة مارى أنطوانيت . . ولكن مشروع هذا الفرار فشل فى النهاية بعد أن تم تنفيذ الجزء الأكبر منه . . ولم يلتق العاشقان بعد ذلك . . إذ بقى فيرزن خارج فرنسا يتتبع الأخبار . . فقد أعدم الملك . . وجاء الدور على الملكة لتلتقى مصيرها . .

دخلت السجانة فى صباح ذلك اليوم على مارى أنطوانيت فى زنزانتها . . وجدت الشمعتين تضيئان بضعف وضمور وشعلتهما تترنح فى النفس الأخير ويخبو ضوءهما شيئًا فشيئًا ، فبدت الرؤية للقادم من الخارج ضعيفة برهة من الوقت . . كان الشرطى قابعًا فى ركن من الغرفة ومارى أنطوانيت منطرحة على فراشها فى ثيابها السوداء كاملة . . لكنها لم تكن نائمة ، بل كانت عيناها معلقتين على سقف الحجرة تنظر إلى نقطة واحدة لا تحيد عنها . . فقد كان هذا اليوم هو أطول يوم فى حياة مارى أنطوانيت . . قدمت لها السجانة حساء الإفطار فاعتذرت مارى أنطوانيت فى هدوء ، إلا أنها تحت إلحاح السجانة التى أشفقت عليها ، تناولت بضع ملاعق صغيرة ، ثم ساعدتها السجانة فى تغيير ملابسها . . فقد كانت التعليمات ألا تذهب مارى أنطوانيت إلى المقصلة بثوب الحداد خوفا من إثارة الشعب . . ورأت مارى أنطوانيت أن تلبس ثوبًا أبيض خفيفًا . . وكانت أقسى مظاهر الذل والهوان ، تلك الواقعة التى حدثت فى هذا الصباح . . فقد كانت مارى أنطوانيت تعانى فى الأيام الأخيرة من نزيف مستمر ، فأرادت أن تغير قميصها ، فطلبت من الشرطى القابع

فى الحجرة معها أن ينسحب لحظة ، غير أنه رفض بناء على الأوامر الصادرة إليه بألا يتركها دقيقة واحدة ، فلم تجد مارى أنطوانيت أمامها سوى أن تجثو على ركبتها فى ركن من الغرفة بين السرير والحائط ، ووقفت السجانة أمامها . . لتسترها حين تتجرد من ملابسها ، ولما انتهت مارى أنطوانيت أمسكت بالقميص الملوث بالدماء وهى حيرى . فقد تخجل أن تراه عينى هذا الشرطى الغريب ، فكومته ودسته فى فوهة بالحائط خلف السرير ! . .

انتهت مارى أنطوانيت من ارتداء ملابسها بعناية . . فهى حريصة على أناقتها ومظهرها حتى آخر لحظة من حياتها . . فى الساعة الثامنة حضر القسيس ليأخذ اعترافها ، إلا أنها رفضت فى أدب أن تعترف له . . ولما سألها : هل يصحبها إلى حيث التنفيذ ؟ أجابت فى هدوء . . « كما تشاء » . . وفى الساعة العاشرة صباحًا جاء الجلاد « سمسون » وهو شاب مارد ضخم الجثة ، استسلمت له مارى أنطوانيت وهو يقيد يديها خلف ظهرها فلم تبد أى مقاومة . .

وفى الساعة الحادية عشر صباحًا فتحت أبواب السجن على مصراعيها وبدأت مراسم تنفيذ حكم الإعدام كانت اللحظات التاريخية العصبية تمر بطيئة متثاقلة جاءت عربة مكشوفة ذات حواجز يجرها جواد كبير أعد فى وسط العربة لوح من الخشب كمقعد تجلس عليه مارى أنطوانيت . . وقفت العربة أمام باب السجن . خرج الضباط أولاً يليهم فرقة كاملة من الحراس فوق ظهورهم البنادق ثم تبعهم المارد سمسون وهو يسير بوجه متجهم فى خطى ثابتة ، صدره عارى تلمع فى وهج

الشمس ، يمسك فى يده بطرف حبل ، طرفه الآخر على مسافة مترين يسحب به مارى أنطوانيت من خلفه . كان القسيس فى ملابسه السوداء والصليب يتدلى على صدره والقبعة تغطى بعض عينيه . . يسير ببطء بجوار مارى أنطوانيت . . واستمر هذا الموكب الأدمى المهيب من داخل السجن حتى خارج البوابة حيث كانت تقف تلك العربة المكشوفة بجوادها الثقيل وعليها المقعد الخشبى الذى ستجلس عليه مارى أنطوانيت . .

كانت الجماهير واجمة فى ذهول وهى تصطف على جانبى الطريق لترى هذا المشهد الفريد فى تاريخ فرنسا . . ورغم ضخامة وكثرة ازدحام الجماهير إلا أنهم كانوا صامتين ، عيونهم شاخصة على الموكب وكأن على رؤسهم الطير أو أن أنفاسهم قد حبست ، فإن رهبة هذا المشهد المهيب كانت أقوى من أى شئ . . كانت مارى أنطوانيت تتقدم وسط هذا السكون بخطى بطيئة نحو العربة . . ثم وقف سمسون خلف العربة وصعد عليها واستدار فى هدوء وهو يمد يده لمارى أنطوانيت ليساعدها على الصعود . . جلست مارى أنطوانيت على المقعد الخشبى وإلى جوارها القسيس فى ملابسه السوداء ووقف سمسون العملاق بصدره العارى فوق العربة فارجًا قدميه وعلى وجهه جمود لا ينم عن أى شعور ومازال طرف الحبل فى يده . .

سارت العربة ببطء بين جماهير الشعب التى جاءت لترى هذا المشهد الخارجى . . وكنت مارى أنطوانيت وهى جالسة على مقعدها

الخشبى تهتز مع كل درجة للعربة وعيناها محمرتان تنظران إلى أعلى وكأنها تنتظران أن تأتى لها السماء بمعجزة تنقذها من مصيرها المؤلم ومن سيف الجلاد سمسون . . كان جسدها كله يختلج وكل نقطة دم فى عروقها تصرخ وتستغيث وقد بدت وكأنها امرأة هرمة عجوز ووجهها شاحب هزيل . . ورغم هذا كانت تحاول جاهدة أن تضبط زمام مشاعرها وألا تلتقى عينيها بعيون الشعب . . وترامت إلى أسماعها الشتائم وعبارات الاستهزاء ، فكانت وكأنها لا تسمع ولا ترى ، بل أنها ظلت تنظر إلى أعلى فى استسلام . . وكان ميدان الجمهورية الفسيح الذى تتوسطه منصة المقصلة يعج بالآلاف الذين جاءوا منذ الفجر حتى لا يفوتهم ذلك المشهد الفريد . مشهد إعدام ملكة . .

وقفت العربة أمام المنصة ورأت مارى أنطوانيت المقصلة ونصلها الحاد ، فنظرت إليها برهة فى شرود وهى جالسة على مقعدها الخشبى ، فبدت وكأن الدنيا تميد بها . . وما هى إلا لحظات حتى بدأت المراسم الأخيرة . .

هبطت مارى أنطوانيت من العربة فى بطء وتثاقل . . تقدمت خطوتين . . صعدت درجات المنصة بصعوبة . . أمسكها الجلاد ولمع للسلاح بريق وهو يهوى على رقبتها . اصطبغت المنصة بلون أحمر قاتم وساد الميدان صمت وسكوت . . وأمسك سمسون برأس دام ولوح به لأعين الجماهير التى صاحت (تحيا الجمهورية) . .

بعد أن تفرقت الجموع جيء بعربة نقلت جثمان مارى أنطوانيت . . وقد وضع رأسها بين فخذيها . . وكانت تلك هى نهاية ملكة انتقلت باستهتارها وغرورها من العزة والجاه إلى الذلة والمهانة . . ومن العربة المذهبة الفاخرة إلى عربة الجلاد . . ومن العرش إلى منصة المقصلة ! .

ماتت المرأة التى سألها الشعب : أين الخبز ؟! فقالت لهم لماذا لا تأكلوا البسكويت أو الجاتوه ! !



٨

ميسالينا ...
امبراطورة تحترف البغاء !!

قالوا

إن مخالطتها أشد خطراً من مخالطة الأفعى ! . . وإن الذى شاطر الامبراطورة «ميسالينا» فراشها ليلة كاملة لا شك متهور ! . أما لماذا ؟! . . فذلك لأن ميسالينا كانت تعتنق المبدأ القائل بأن الموتى وحدهم لا يتكلمون . . ومن ثم فالصمت التام فى رأيها هو الضمانة الوحيدة أمامها لكى تنعم بالطمأنية ! . . لذا ففى أوانها شهدت روما عدداً لم يسبق لها أن شهدته من الوفيات الناتجة عن عسر الهضم والغرقى الذين كانوا يتنزهون على ضفاف التيب ! . . فما أصل الحكاية ؟ . . ميسالينا « قدم السعد » :

تزوج « كلاوديولى » ثلاث مرات قبل زواجه من الشابة ذات الثمانية عشر ربيعًا « فاليريا ميسالينا » ولم يبن هذا الزواج الرابع على أساس عاطفى . . فلم يكن كلاديولى يتمتع بأى شيء يمكن أن يجذب قلب فتاة مراهقة ، وقد بلغ الخمسين من عمره . . لا شئ سوى حسبه ونسبه . .

وما جرى مع كلاوديولى فى أعقاب تلك الزيجة ، ربما جعله يعتقد أن ميسالينا كانت « قدم السعد » بالنسبة له ! . . فما إن اقترن بها حتى وجدهم يبحثون عنه ليقلدوه امبراطورا للبلاد ! . . فعمه الامبراطور « كاليغولا » قتل على أيدى رجال الحرس الامبراطورى ، وأصبح جلوس كلاوديولى على العرش يحقق للمتآمرين غايتين مهمتين فمن ناحية يمثل تنصيب كلاوديولى امبراطورا ، امتداداً لشرعية الحكم . . ومن ناحية أخرى يصبح بوسعهم - المتآمرين - إدارة شئون الامبراطورية من وراء كلاوديولى لما توسموه فيه من غباء وضعف شخصية فهل تسنى لهم ذلك ؟! .

لقد اتضح أن كلاوديولى لم يكن فى غفلة أبدًا عما يحاك من مؤتمرات للإحاطة بعمه « كاليغولا » . . ويعلم علم اليقين أن الإغراء الوحيد الذى يجعل المتآمرين يتمسكون بالشرعية ويضعونه عن طيب خاطر خليفة لعمه ومن ثم يحفظ عليه حياته حتى يتم ذلك ، هو أن يبدو فى مرآهم غبيًا ضعيف الشخصية بالحد الذى يطمئنهم بأنه لن يرقى بأى حال عن صفة ستار شرعى يحكمون من خلفه ويسيرون شئون البلاد على هواهم . . لذلك فقد تصنع الغباء الحمق وأبدى بالغ ضعف الشخصية . ولما آل الحكم له وأصبح امبراطور البلاد مدعوما من أطراف المؤامرة ذاتهم كشف عن قبضة حديدية لداهية سياسى لا قبل لهم أو حيلة بصدد حذقه ومناوراته ، فنكل بالخصوم الأقوياء وأبادهم ، وأخضع الضعفاء منهم وجعلهم يدورون فى فلكه ! . .

لكنها المرأة !! . . وصعوبة سير غورها . . خديعة ناعمة لا ترقى لمستوى تصنعها وتدبيراتها منارات العتاة من الساسة ومكائدهم . . فخديعتها لبا يصدها عن الرجل سوى القدر وحده إن أراد . . وإن لم يرد القدر انطلت على الرجل حتى تكتمل جوانبها وتعتمل نتائجها فيه . .

فـ « ميسالينا » . . تلك المرأة الجميلة الفاتنة . . الزوجة . . لم تكن سوى كيان وحيد وضعته الأقدار فى سبيل كلاوديولى الرجل الحاذق الذى ابتلع خصومه من عتاة السياسة والحرب ، لتتفوق على حذقه وتجعل من الامبراطور بجلالة قدره أضحكوكة ، لما تضع فوق عينيه غلالة الحب فتجعله وحده مغمض العينين عن مباذلها وسقطاتها وأبحارها الممعن فى عالم الرذيلة ! . .

لقد انقضت الأيام الأولى من زواج كلاوديولى وميسالينا فى سعادة غامرة . . فكلاوديولى أثبت أنه فى مخدع الحب فارس لا يعرف التعب . . لكن . . بقدر ما أسعد ذلك ميسالينا من الناحية الحسية ، بقدر ما أصابها منه الملل واستبد بها ! . .

وبعد انقضاء فترة من الزمن ، وضعت خلالها طفليها «بريتانيكوس» و« أوكتافيوس » انصرفت نحو الاستمتاع بالحياة . . استمتاع بكل من يروق لها من الرجال . . فى نفس الوقت الذى لم تكف فيه عن مراقبة زوجها كلاوديولى ، ومحاولة الإبقاء على عاطفته مشبوهة ملتهبة نحوها لتكون فى أمان تام . .

وبعد فترة قصيرة أصبح من المتعذر إحصاء عدد المتهورين الذين طاروحوا الامبراطورة ميسالينا الفراش . . وبمرور الوقت بدأت الألسن تتناقل الأخبار بين العاملين فى البلاط وبين أفراد الحرس الامبراطورى . .

مع قدوم فصل الصيف الذى تتفاعل فيه المشاعر الحسية مع طبيعة المناخ بما يزيد من تهافت ميسالينا على مضاجعة الرجال وممارساتها الخيانة ، حدث شئ لم يكن فى حسبانها ، إذا انتشر بالبلاد وباء الكوليرا واتخذ أبعاداً غير متوقعة ، الأمر الذى ألزمها تجنب مضاجعة العناصر الشبابية الأكثر عرضة للإصابة بفيروس المرض . . ولم يعد يقع بصر ميسالينا إلا على رجال تقدمت بهم السن ، فاستبد بها القنوط مع إحساس بالحرمان من أجمل مباهج حياتها ، حتى أقبل ذلك الصباح مع قدوم « ميرتالى » وصيفتها الشابة اليونانية ، بهيئة تشع بهجة وسروراً . . ولما استوقفتها ملامح الرضا فى وجهها وقسماته راحت تستفسر منها عما

وراء كل ذلك الرضا ، فعلمت منها أنها قد أمضت ساعات لا مثيل لها بصحبة بحار يعمل على نهر التيبر . .

ومنذ ذلك الحين انفتحت أمام ميساليناآفاق جديدة لمزيد من الاستمتاع بلزاتها ، وذلك بالتوجه إلى حى « سوبور » . . حيث مدمنى الجنس فى حى السقوط .

أعدت الامبراطورة ميسالينا عدتها لخوض غمار المعترك الجنسى الذى يرضى شحطاتها ويروى ظمأها . . تخفت فى صورة مغايرة واستخدمت شعراً مستعاراً أشقر اللون ، وإمعانًا فى التمويه غيرت من اسمها إلى « ليمسكا » وذهبت إلى ذلك المخدع فى حى « سوبور » ذلك الحى السافل والمشبوه فى روما . .

رافقتها فى البداية وصيفتها « ميرتا » وبعد ذلك أصبحت تذهب بمفردها ، وبمرور الوقت أدمنت ميسالينا التوجه إلى ذلك المكان الساقط ، حيث تلتقى برجال من كافة الطبقات والأوضاع الاجتماعية . . وقد زاد من ترددها على هذا المكان مغادرة « كلاوديولى » روما على رأس جيوشه للقيام بغزو انجلترا ، وخلال تلك الأونة أصبحت زوجته تغادر القصر كل ليلة للقاء الأفاقين والجلادين والمدمنين للخمر . .

أما وصيفتها ميرتالى ، فقد استبد بها الذعر لاعتقادها أن مولاتها قد فقدت عقلها فبدأت تقدم الطقوس للآلهة داعية ألا يكتشف أحد ذلك السر المرعب . .

ورغم كل وسائل التخفى التى اتبعتها ميسالينا نفذت إرادة القدر وانكشف أمرها . . ولكن لمن ؟! . . للرجل الذى يسيسه ويستثمره خير

استثمار لصالحه . . أنه «نرسيس» أحد نديمى كلاوديوس والمؤتمن على أسرار الامبراطور . .

فقد سمع نرسيس ذات يوم حديثًا مثيراً عن غانية جديدة ظهرت فى حى سوبور تدعى « ليسيسكا » وأنها قد احتلت مكانة كبيرة فى نفوس زبائنها ، فأرسل نرسيس بواحد من معاونيه ليتعرف على ليسيسكا ويعرف حقيقة أمرها ، فعلها تكون يوما ذات فائدة له . . وعقدت الدهشة لسن الرجل . . فالشعر الأشقر لم يخدعه . . إن ليسيسكا ما هى إلا ميسالينا .

أدرك نرسيس قيمة هذا النبأ ، لذلك قرر التخلص من معاونة كى يضمن لنفسه الاحتفاظ بهذا السر . فعلاقته بالامبراطورية ممتازة فى الوقت الراهن ، ويتمنى أن تظل كذلك . . ولكن إذا ما فكرت ميسالينا يوما أن تنقلب ضده ، فإن قضية ليسيسكا ستمنحه فرصة الفوز عليها . .

وبعد فترة ليست بقليلة من الانغماس فى حياة الدعارة بحى سوبور ، حدث ما جعل ميسالينا تقلل تدريجيًا من مرات زيارتها للحى المشبوه ، ويسد جانبا كبيراً من نهمها للجنس وحياة الخيانة حسب ما اعتقدت ، فقد عاد القنصل « كايوس سيليوس » على إثر استدعاء من الامبراطور كلاوديوس . .

فمن هو كايوس يسيليوس هذا الذى لجم شحطات ميسالينا الجنسية وجعلها تتفرغ له راغبة ؟!

إن كايوس سيليوس هو الرجل الوحيد الذى أحبته ميسالينا فى حياتها ، فلم تكن قد بلغت الرابعة عشر من عمرها عندما التقت به لأول

مرة . . لقد شغفت به إلى حد الجنون ، ولم تتوان عن الاستسلام له بكليتها . . رجل وسيم مجرب وهو أول من لقنها مبادئ الحب . . لكنه اضطر لمغادرة روما والتوجه إلى جرمانيا لمراعاة مصالح الامبراطورية هنـــاك . .

وبرغم المحاولات المستميتة التى قامت بها ميسالينا ليزعن إلى دعوتها إياه للرجوع ، إلا أن سيليوس رفض الاستجابة لها ، وكان مبرره فى ذلك أن الامبراطور وحده يملك حق إصدار الأمر بالعودة . . وفى ذات الوقت لم يكن ينظر الامبراطور من هو أجدر منه للقيام بهذه المهمة . .

ولكنه أخيراً قد عاد إلى روما . . ولكن معه زوجته التى يقال أنها يونانية شديدة الجمال . . وما إن وصل حتى استدعته ميسالينا بشكل غير رسمى . . استقبلته على انفراد واقتادته إلى سريرها دون أن تتيح له فرصة التقاط أنفاسه ! . .

ورغم رإرهاق العودة إلا أن سيليوس وجد متعة حقيقية فى تجديد علاقته بفتاة اكتشف فيها من جديد عشيقة مذهلة . . وقد أيقظت هذه العلاقة فى نفسه الكثير من الآمال والطموحات الفريدة . .

وعلى الفور استأجر سيليوس المسكن ، حيث يتبادل هو وميسالينا الحب ويتطارحان الغرام يوميًا بشغف عجيب . .

وبعد فترة وجيزة بدأ التوتر يظهر على ميسالينا بسبب التكتم الذى تفرضه الظروف على هذه العلاقة . . وأصبح كل ما ترغب فيه أن تعلن عن هواها جهراً وعلى مسمع من الجميع ، وتعلم روما أنها متيمة بحب

كايوس سيليوس . . وشرعت تغدق على عشيقها الهدايا النفسية . . فهى لا تتوانى عن إفراغ البلاط من أثاثه الثمين لكى تنقله إليه ، وبهذا تحولت دار القنصل إلى متحف حقيقى . .

تمكن العشق من فؤاد ميسالينا ، فما عادت تطيق وجود امرأة أخرى فى حياة عشيقها ، حتى لو كانت زوجته الشرعية . . فهكذا يبدأ العشق . . أمل فى نصيب من فؤاد العشيق أو العشيقة . . ثم . . يتحول الاحتواء بكامله إلى غاية وعندئذ لا يقبل العاشق مشاركة أحد فى هواه . . تنشط نزعة التملك لتطمس الرؤية الواقعية وتغيب العقل عن الحقيقة . . فقد أضحت ميسالينا تتكوى بنار الغيرة من الزوجة الشرعية لسيليوس ، وتتحول إلى حيوان مفترس كلما تذكرت أن هناك من تشاركها عشيقها . . وأخيراً حسمت أمرها . . لقد اهتدت لحل تمثل فى السموم التى تعدها « لوكوستا » وهى امرأة على درجة عالية من سعة الأفق وقلة الذمة فى آن واحد ! . . حاكت الخطة . . ثم نفذتها . .

خرج سيليوس إلى منطقة أوستيا بصحبة كلاوديوس ، حيث كان الامبراطور راغباً فى إقامة منارة هناك . كانت زوجة سيليوس فى المنزل ، حيث تلقت سلة رائعة من الثمار أرسلت إليها من البلاط مباشرة . . ولأنها اعتادت مثل هذه الهدايا ، فلم يكن من المحال أن تتناول بعض الثمار . . وهكذا انتهت ميسالينا من وجود الزوجة التى طالما ضاقت بوجودها فى حياة عشيقها سيليوس .

وماذا كان رد الفعل عن سيليوس ؟ . .

إن سيليوس يعرف ميسالينا حق المعرفة . ويعلم أنها قادرة على ارتكاب أى عمل من أجل أن تنعم بالعيش معه . . وأحس فى قرارة نفسه

أن عائقًا إضافيًا قد أزيل من طريقه إلى العرش . . وبذلك لم يتبق غير العائق الأكبر . . ذلك الجالس حاليًافوق العرش الامبراطورى ، «كلاوديوس» نفسه ! . .

قد تبدو مسألة التخلص من الامبراطور مسألة سهلة المنال ، مثلما تم مع زوجة سيليوس ، ولكن ميسالينا ليست متأكدة من البقاء على قيد الحياة بعد اغتياله . . كما أن ثقتها أقل فى رؤية التاج الامبراطورى يكلل هامتها ، فأعداؤها كثيرون .

ورغم كل ذلك ، فقد اهتدت إلى طريقة شيطانية ، بدت فى نظرها خالية من كل خطورة ، لقد قررت أن تتزوج عشيقها مع وجود كلاوديوس على قيد الحياة ، بل وبمباركته أيضًا !! . . ويمكن بعد دذلك الخلاص من كلاوديوس بسبب تلبك معوى مثلاً ، فلا يبقى أمام كايوس سيليوس ، وقد أصبح زوجًا لها غير الصعود للعرش بصورة تلقائية ! .

وافق سيليوس على خطة ميسالينا ، حيث رأى أن هذه الفكرة إذا أحسن إخراجها يمكن أن تنجح نجاحًا تامًا . . فهى ترتكز على قيام كلاوديوس بجولة انفرادية فى الحدائق المحيطة بالبلاط فى المساء ، وهى حدائق خاضعة لحراسة مشددة .

وفى أحد الأيام ، حيث كان كلاوديوس يقترب ببطء من معبد صغير للإله أبولون ، لمح عجوزًا أصفر الوجه يرتدى ملابس بالية يحفر حفرة . . فتملك الامبراطور الدهشة لوجود هذا البستانى فى تلك الساعة المتأخرة من المساء ، واقترب منه وسأله عما يفعل فى هذه الساعة ، ورد العجوز بصوت أجش بأنه يقوم بحفر قبر ، والقبر لزوج ميسالينا الذى ينبغى أن يموت (خلال ثلاثة أيام) !! . .

انزعج كلاوديوس من حديث العجوز وانطلق عائدًا إلى القصر بعد أن علم أن اسم العجوز « إليكون » وما أن دخل القصر حتى استدعى نرسيس وطلب منه أن يفسر له وجود مثل هذه البستانى الذى يدعى اليكتون فى مثل هذه الساعة وفى مثل هذا العمل . إلا أن نرسيس عاد بإجابات غريبة مبهمة . . فالبستانى المدعو اليكتون قد توفى منذ شهرين !! .

تملك الفزع كلاوديوس الذى قضى ليلة لا يحسد عليها ، فظل يتقلب من جنب إلى جنب ، ثم انطلق نحو ميسالينا التى لاطفته وهدأت من روعه طالبة منه أن يستشير كبير كهنة روما . .

وما إن وصل الكاهن العظيم حتى وضعت المشكلة بين يديه . . ولكن ميسالينا قد تصورت الحل لهذه المشكلة . . وذهبت إلى الكاهن والامبراطور حيث هما وقالت : لكى يستطيع كلاوديوس أن ينجو من هذه الرؤية ، عليه ألا يظل زوجًا لها ثم عرضت خطتها . .

موجز الخطة أن يبتعد كلاوديوس عن روما لبضعة أيام ، أى الفترة الكافية لمرور اليوم المقدر ، وتقوم ميسالينا فى هذه الفترة ، ويدافع من إخلاص لا مثيل له ، بالتصدى للمحنة ، فتظل على رأس الحكم وتعقد عقد زواج صديق قديم ، وليكن كايوس سيليوس ، وعلى سبيل المثال ، فهو على درجة من الشجاعة والوفاء تؤهله للقيام بدور زوج ميسالينا فى يوم نفاذ حكم القدر . . وهكذا تتم التضحية بذلك الرجل الصالح !!

ولكن الكاهن الأكبر اعترض بشدة على خطة ميسالينا ، ذلك فى الوقت الذى أعجب بها كلاوديوس ، فقد وجد فى فكرة العثور على بديل له فرصة للهروب من القدر ! . .

وإذا كان الكاهن الكبير لم يقتنع فى قرارة نفسه ، فإنه قد أدرك أن معارضته لهذا المشروع الجنونى سوف تعنى أن أيامه فى روما قد تكون معدودة .

وعندئذ أعلن كلاوديوس عن عزمه السفر إلى أوستيا لمراقبة منارته، وعلى الفور بدأت ميسالينا تعد العدة للاحتفال بعقد قرانها على سيليوس . . لقد أعدت كل شئ دون أن تحسب حساب نرسيس المطلع منذ وقت طويل على كل أسرارها . . وقد شعر فى ظل هذه المسرحية الشاذة التى قامت ميسالينا بتأليفها ، أن فى يده أسرار قيمة يمكن استغلالها لإيقاف هذه المسرحية ، خصوصًا أنه قد أحسس بقدرة ميسالينا الهائلة على التخلص منه فى أى وقت تشاء .

ولم يتردد نرسيس ، وقام باستخراج كل التقارير المتعلقة بنشاط ليسيسكا وانطلق على جواده يسابق الريح إلى مكان كلاوديوس ، وكان وصوله له وقع الصاعقة على الامبراطور الذى ظل لفترة يرفض كلام نرسيس ويفهمه بأنها مخاوف لا مبرر لها وإن ما يحدث الآن مجرد مسرحية هزلية تهدف للحفاظ على حياته .

ولكن نرسيس عرض على الامبراطور سجلا كاملاً مدعمًا بالحجج والبراهين يتضمن تفاصيل كاملة عن حياة زوجته فى السر . وتمكن فى النهاية من إشعال نار الغضب فى نفس كلاوديوس الذى قرر الرجوع فوراً . . وقد استدعى فى عودته كافة الوحدات العسكرية التى وجدها فى طريقه ، هذا فى الوقت الذى عاد فيه نرسيس بسرعة إلى الوطن ليعلن نبأ رجوع مولاه .

أحدث نبأ وصول الامبراطور انفجاراً كالبركان وسط مظاهر الاحتفال فى البلاط بالعرش الكبير . . وهذا فى الوقت الذى كان فيه العروسان فوق سرير الحب يتطارحان الغرام . . وقد استولى الذعر على المحتفلين ، وبدأت عمليات هروب فوضوية ، بدأها كايوس سيليوس نفسه ، قبل الجميع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ألا وهو الإبقاء على رأسه بين كتفيه . .

ولكن ما كاد سيليوس يصل إلى بيته حتى كان رجال الحرس الامبراطورى فى انتظاره متعطشين إلى نهب أجمل دار فى روما كلها ، وعلى الفور توجه أحدهم إليه وطعنه بالخنجر وانتهى كل شئ . .

أما ميسالينا فقد هربت بدورها إلى بيت أمها بحثًا عن ملجأ أمين . ولكى تنتظر وصول كلاوديوس فهى تعرف كيف تكسبه إلى جانبها حين يصل إلا أن نرسيس يعرف ذلك حق المعرفة ، وقد أدرك أن كلاوديوس لن يقوى على الصمود أمام دموع زوجته لذلك أرسل جنوده فى أعقابها لتحظى هى الأخرى بطعنة خنجر أحد الحراس وعندما وصل كلاوديوس بكاها بدموع حارة ، فهو لم يأمر بقتلها ، لكن نرسيس أرسل إليه أغريبينا ابنة أخته ، التى عرفت كيف تواسى ذلك العاشق العجوز وتمسح دموعه ، وهكذا توصلت أغريبينا إلى خلافة ميسالينا .



٩

تيودورا ...
في الأصل داعرة !!

من أعـجب القـصص التـاريخى عن الحكم والحكام ، تلك التى فـصلت كـيف اسـتـقـدمت قلوب وغـرائز الملوك والحكام الراقصات والداعرات من قاع المجتمع ودروبه الخلفية ليضعوهن فى سدة الحكم ويسلمون اراداتهم لهن ، ومن ثم مصائر شعوبهم وشئون دولهم ! . . وهذه إحداها :

نشأت «تيودورا» نشأة حقيرة . . كانت مجرد خادمة فى سيرك تقوم بأعمال النظافة . . عندما بلغت العاشرة من عمرها صارت ترافق شقيقتها الكبرى إلى بيوت الدعارة . . تنتظرها بالخارج حتى تفرغ من مهمتها ، فما زالت بعد صغيرة لا تملك المؤهلات الجسدية التى تؤهلها لمزاولة حرفة شقيقتها المحترفة . . .

ولما بلغت تيودورا الثانية عشرة من عمرها التف عودها وبرزت مظاهر فتنة مبكرة فى جسدها ، فاعتبرت نفسها قد أهلت تماما لمزاولة الحرفة (الدعارة) . وما لبثت أن فاقت شقيقتها وتكالب عليها الزبائن ، وهى لا تكف عن استقبال كل من يدفع المقابل . . عطلت كل مشاعرها الانسانية . . الجنس محض صنعة فى جسدها وملامحها أدواتها ، والمهم دائما أن تقبض مقابل أعمال أدواتها . . العبرة بمن يدفع أكثر ، ولا مجال لتصنيف الزبائن نبلاء أو شغيلة . . المزاد قائم على جسدها حتى وهى فى أحضان زبون ، فإن جاء من يدفع أكثر لفظت من هو فى أحضانها فى قحة وفجور ورحبت بالآخر بكل فجور . . صنعتها . . .

ومن الطبيعى فى امرأة على شاكلة تيودورا أن تبحث دائما لدى زبائنها ، علاوة على المقابل المادى ، عن أى فرصة يمكن أن تحقق من

خلالها استفادة ، وكل حسب قدراته ونوعية عمله . وكان أن تعرفت على بعض المسئولين عن مسارح المدينة . فاستطاعت عن طريقهم الصعود إلى خشبة المسرح ، فنجحت نجاحا كبيرا بفضل قدراتها الكبيرة على إضحاك الرواد ، فهى تعبث بملامح وجهها بشكل عجيب وترقص وتتلوى بمهارة فائقة فتجعل الجميع يضجون بالضحك والسرور . . وقد وجد فيها شباب الطبقة الأرستقراطية لونا جميلا شهيا للتفريج عن أنفسهم فكانت لاتخلو حفلة أو مأدبة لهم من تيودورا . .

وقد ذكر المؤرخ «بروكوبياس» أنها فى إحدى هذه المآدب سامرت على انفراد عشرة ضيوف وثلاثين عبدا . . وحين أوشك الفجر على الشروق كان الجميع مرهقين ومنهكى القوى عدا تيوورا التى كانت بكامل حيويتها ونشاطها !

وفى مرحلة تالية تعرفت تيودورا على أحد النبلاء ويدعى «هيكيبولس» وكان قد عين حاكما لإقليم بنى غازى ، فأقام حفلا كبيرا ابتهاجا بمنصبه الجديد ، فاستدعى تيودورا كى تكون نجمة هذا الحفل ، فرقصت وأبدعت حتى الصباح . . وقصدت أن تلفت نظر الحاكم إليها حتى أنه كان فى شدة الغبطة والسرور إلى الحد الذى جعله يطلب منها مصاحبته إلى قصره ، فما كان من تيودورا إلا أن سألته بخبث : (بصفتى زوجة لك ؟) فأجابها الحاكم قائلا :

- القانون يمنع زواج النبيل من راقصة كما تعلمين .

فأجابته بابتسامة ماكرة وبلهجة استفهامية خبيثة : (إذا سأكون خليلة لك ؟) . . ثم قالت وهى تبتسم وتتلوى : (حسنا !) . .

وكانت تلك خطوة عظيمة بالنسبة لراقصة . . فقد انتقلت رأسا الى قصر أحد الحكام . . إلا أن الزمر لم يدم طويلا . فقد كانت أفريقيا فى هذا العصر قارة مقفرة موحشة فلم تطب لتيودورا فأحست بالملل واشتاقت إلى القسطنطينية حيث حياة الليل والسهر حتى الصباح ، وزاد من شعورها هذا أن الحاكم وضعها فى جناح الحريم بالقصر فلم يكن لها من أنيس سوى الجارية التى تعمل على خدمتها . . فقد كان «هيكيبولس» فى معظم الأيام مشغول بتصريف أمور الولاية ، فلم يكن يتصل بها كثيرا ، فدفعها ذلك إلى رشوة جاريتها كى تساعدها على إدخال أحد الشباب إلى مخدعها حين يكون الحاكم متغيبا عنها . .

وحدث ذات ليلة أن توجه «هيكيبولس» فجأة إلى مخدعها على غير انتظار ففوجئ بخيانتها له ، فطردها إلى الصحراء فهامت على وجهها حتى وصلت إلى أبواب مدينة الإسكندرية واحتالت على الحارس لتمر إلى المدينة . . وهناك تسكعت كبائعة هوى حقيرة حتى قبض عليها ذات يوم فى مشاجرة بالطريق العام ، فكان عقابها أن وصم ظهرها بقضيب من الحديد الساخن ظل أثره على جسدها مدى حياتها . .

وعادت تتسكع فى الطرقات حتى عثرت على أحد التجار جاء إلى الإسكندرية فى مهمة عابرة ، واتخذته عشيقا لها ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أنهى الرجل مهمته بالإسكندرية فغارها دون سابق إنذار ودون أن يلقى عليها حتى كلمة وداع ، بل أنه كان قد ترك فى أحشائها جنينا . . . وضاقت الحياة حول تيودورا ، فلم تجد لها مخرجا سوى الدير ففكرت أن تتخذ منه مجرد مكان يأويها حتى وضعت مولودها ،

وعندئذ عاودها الحنين والشوق إلى حياة الفجور فرحلت تاركة الدير إلى أنطاكية بحثًا عن والد طفلها . وهناك علمت أنه فارق الحياة فوقفت تنظر إلى طفلها وتفكر فى شئ ما ، ولكن تفكيرها لم يطل ، فقد تركت الطفل أمام دار جدته حتى لا يعوقها شى عن ممارسة حرفتها ! . .

وعادت تيودورا إلى القسطنطينية موطنها الأصلى ، وهناك فتح لها الحظ أبوابه على مصراعيها . فقد التفت هناك بصديقة قديمة تدعى «ماسيدونيا» فأعطتها هذه خطاب توصية إلى صديقها الامبراطور «جوستيان» ليعيدها الى العمل بالسيرك وكانت تلك هى البداية . .

اختارت تيودورا طريقا مختلفا للوصول إلى الامبراطور بخطاب التوصية . فقد تسلقت أسوار القصر الامبراطورى حتى وصلت إلى نافذة بجوار غرفة الامبراطور ، فشقت ثوبها ثم دلفت إلى الداخل من خلال النافذة ، وكان الامبراطور حينئذ منهمكًا بين أوراق الدولة يعمل على تصريف شئونها ، فلم يلق بالا لهذه المرأة ، وكاد أن يدق الجرس ليأمر لحراس بإخراجها لولا أن استوقفه شئ ما فيها . فقد كانت ساقيها الجميلتين تبرزان من خلال ثوبها الممشوق ، وملامح وجهها وجرأتها قد راقت له ، فنظر إليها مشدوها وسألها : ((ما هذا ؟ . . ماذا تريدين يا امرأة ؟) . . فمدت له تيودورا يدها بالخطاب وهى تقول له بلهجة ذات مغزى : (أريد صداقتك) . . وحينما فرغ الامبراطور من قراءة الخطاب نظر إليها قائلاً :

- إذن لن تعودى . .

وتحققت بذلك أمنية تيودورا فعاشت مع الامبراطور تعمل على متعته وإرضائه إلى أقصى الحدود حتى استطاعت أن تصل إلى غاية مآربها ، وذلك عندما قرر الامبراطور أن يتخذ منها زوجة له . . فقد وجد في مظهرها ما يجعلها تزين له عرش الامبراطورية . . فقد كانت تيودورا حريضة كل الحرص على أن تبدو أمامه فى أبهى صورة وأجمل حلية كما أحاطت نفسها بشئ من العظمة والكبرياء زادها رونقًا وبهاء فراق كل ذلك للامبراطور فهو يريد امرأة جميلة قوية تشاركه العرش ، وكانت تيودورا تجمع بين هذين الأمرين !

كان وقع اختيار الامبراطور لتيودورا زوجة له سيئًا على الشعب فى القسطنطينية . . فالشعب يعرفها حق المعرفة . يعرف أنها بدأت حياتها خادمة سيرك ثم غانية ، فكبر عليه أن تصبح امبراطورة على عرش دولتهم . . ومن ثم خرجحت جماهير المتظاهرين ساخطة تصيح فى غضب وهياج « تسقط الزانية . . تسقط الشيطانة » . . إلا أن كل هذا لم يثن الامبراطور عن عزمه على الاقتران بتيودورا التى استحوزت عليه وملكته . . وما هو إلا وقت قصير حتى كانت تيودورا تجلس على العرش كزوجة للامبراطور جوستنيان ، فلم يجد الشعب سوى الخضوع والاستسلام لرغبة وقرار الامبراطور . .

وفى بادئ زواجها عرفت تيودورا باسم « زوجة الامبراطور » ، إلا أنه لم يمر وقت طويل حتى عرف هو باسم « زوج الامبراطورة » إذ طغت شخصية تيودورا القوية الخبيثة على شخصية جوستنيان فكانت

وكأنها تجلس على العرش بمفردها . . فقد أرادت أن تنسى أيام هوانها واسترخاصها ، وأن تكمل نواقصها فأطلقت لغريزة الشر العنان ، فلم يشهد تاريخ الامبراطورية البيزنطية امرأة ولو حتى من سلالة الملوك أشد غطرسة وكبرياء من تيودورا خادمة السيرك الداعرة ! . .

فقد كان يلذ لها أن تذل وتخضع كل من حولها ، وخاصة هؤلاء النبلاء الذين كانت تتركهم يجلسون ساعات طويلة فى انتظار مقابلتها ، ثم تتكرم وتتواضع فتأذن لهم بالدخول بعد طول استعطاف ، وهى جالسة فوق كرسى العرش واضعة قدم فوق قدم ، فإذا ما دخلوا ركعوا أمامها وانحنوا على قدميها يقبلونهما ، فتنظر لهم نظرة ازدراء واحتقار ، وإذا ما احتدت على أحدهم رفسته بقدمها وأمرت بطرده . . كما لم تنس تيودورا أن تبث العيون فى أرجاء البلاط وأنحاء البلاد لتقف على كل التفاصيل الدقيقة لكل ما يدور بين الناس من أحاديث تكون المبراطورة طرفًا فيها ، والويل كل الويل لمن تصدر عنه كلمة طائشة تمس الامبراطورة ولو كانت هذه الكلمة صدرت عفواً ودون قصد ، فإن ذلك سيكلف المرء رأسه فلا يشفع له تقدم سنه أو كبر مقامه . .

علمت تيودورا أن حاكم إحدى البلاد المجاورة للامبراطورية ويدعى « فيتاليان » يدبر للاعتداء على امبراطوريتها ، فأوغرت إلى جوستنيان أن يوجه له الدعوة لزيارته مع حاشيته فى القسطنطينية بحجة التفاوض بشأن معاهدة تصالح بينهما ، فأرسل جوستنيان الدعوة ، ولم يرتاب الحاكم فى الأمر ، فقبلها ووصل على رأس حاشيته إلى القسطنطينية فاستقبلتهم تيودورا وجوستنيان بأشد ترحاب ، وبالغا فى

إكرام الحاكم وحاشيته ، فأقاما لهم حفلات الرقص الشرقى وحفلات السباق ومصارعة الوحوش ثم احتفلا تكريما لهم بإلقاء مائة سجين حى فى ساحة الملعب الكبير كطعام لخمسين أسداً جائعًا ! . .

وفى الليلة الأخيرة للزيارة أقاما لهم حفلة وداع ساهرة لم تشهد الامبراطورية مثيلاً لها من قبل . . فقد رصت فيها ثلاثمائة مائدة مرصعة بالعاج والأحجار الكريمة وسط قاعة من أشهر القاعات التى تسمى « قاعة المضاجع التسعة عشر » ذات السقف الذهبى والستائر المزركشة بخيوط الذهب . . وبعد أن تلذذ الضيوف بأشهى ألوان الطعام وأفخر أنواع الشراب ، واستمتعوا بأروع الرقصات لأجمل الفاتنات قام صاحبا الجلالة الامبراطورية واستأذنا من الضيوف فى الانصراف بحجة أن يتركا لهم الحرية فى المتعة واللهو حتى الصباح . .

وحين تسللت أول خيوط الفجر من النوافذ كان يسود القاعة سكون وصمت رهيبين مع أبشع منظر شهدته هذه القاعة الجميلة . . كان النبيذ والخمر المسكوب يختلط بدماء الضيوف القتلى على الأرض . . فقد أصدرت تيودورا أوامرها لكل راقصة بأن تذبح ضيفها بعد أن تسلبه قواه بالمضاجعة وتفقده وعيه بالخمر ! . .

وظلت تيودورا هكذا امرأة متحجرة القلب يحتقرها الشعب ويمقتها نتيجة تصرفاتها الطائشة وقسوتها ومضاعفتها الضرائب . . ففى عهدها انتشرت البطالة وزاد الغلاء وتفشى المرض وزاد الانحلال والفجور . . وباتت تيودورا امرأة شرسة شريرة إلى أقصى الحدود حتى

إن الشعب بدأ فى التذمر فتجمعت أفواج الجماهير ذات صباح أمام القصر الملكى هاتفة بسقوط الامبراطورة ، وارتفعت صيحاتهم الغاضبة وهم يقذفون بالوحل تمثالها الرابض فى حديقة القصر مرددين « تسقط العاهرة . . تسقط السفاحة » . . فاشتد غضب الامبراطور جوستنيان فأصدر أوامره بإعدام سبعة من زعماء هذه المظاهرة ولكن الشعب أحس أن تيودورا وراء هذا الأمر فهاج أكثر من ذى قبل وتوجهت الجماهير إلى القصر وهم مسلحين بالفؤوس والحجارة والعصى وهتفوا مرة أخرى « تسقط العاهرة . . تسقط السفاحة » ثم أطاحوا بمخازن القصر وسبكوا براميل النبيذ وهم يصرخون : « أين القتلة » ؟ . .

كانت تيودورا راقدة فى مخدعها تعانى من مرض السرطان الذى أصابها ، وكانت قد تملكتها غيبوبة لم يوقظها منها سوى أصوات الجماهير الغاضبة ودقاتهم عل باب الجناح الامبراطورى ، فأحست بأن نهايتها قد اقتربت . . نهضت مستدعية وصيفتها التى ألبستها ثوبها الملكى وأزاحت لها ستار النافذة ، فاقتربت تيودورا بخطى ثابتة لتواجه الجماهير التى أشعلت النار فى كل مكان ، فبدت المدينة وكأنها جحيم أحمر . . فما أن ظهرت تيودورا من خلال النافذة ، حتى أصابت الدهشة أفراد الشعب وزعماء المظاهرة فوقفوا ذاهلين لجرأتها وتماسك أعصابها ، فانتشر بينهم الهمس ، فرفعت تيودورا يدها تسكت الجماهير ونظرت لهم بعين رحيمة وسألتهم : (ما هى مطالبكم ؟) فصاحت الجماهير فى صوت واحد : (الخبز . . لا شئ سوى الخبز) . . أومأت تيودورا برأسها قائلة :

سوف تنالون الخبز . . وسوف تقام لكم أيضًا حفلة من أروع الحفلات التى شهدتها البلاد . .

وانخدع الشعب الطيب الساذج واستجاب لوعدها الخبيث ، وتعالت الصيحات (تحيا الامبراطورة) . .

وفى الموعد الذى حددته تيودورا لتلك الحفلة المجانية تهافتت الجماهير نحو الأستاذ الكبير الذى يقام به الحفل حتى بلغ عدد من جاءوا حوالى مائة ألف متفرج ، ثم وصلت الامبراطورة والامبراطور ، واعتليا المقصورة الخاصة بهما فهتفت الجماهير (تحيا الامبراطور . . تحيا الامبراطورة) . .

وبدأت الحفلة ، فبدأت الاستعراضات ثم المهرجانات والرقص وألعاب السباق . . وبدا أن الحفل سيطول ويمتد من الصباح حتى ما بعد الظهيرة . . فأمرت تيودورا بتوزيع غذاء فاخر على جميع الحاضرين مزود بالخمر والمشهيات على نفقة تيودورا الخاصة . وقبل أن ينتهى الحفل غادر ثنائى الامبراطورية المكان . .

وحين انتهى البرنامج الأخير من الحفل ظهر قائد جيوش الامبراطورية فى ساحة الملعب تصحبه فرقة من الجنود المسلحين ، فحيتهم الجماهير بالهتافات المدوية ظنًا منهم أنها إحدى برامج الاحتفال ، إلا أنها لم تكن سوى مؤامرة حقيرة دبرتها تيودورا فقد صاح قائد الحرس فى جنوده : (استعدوا . . اضربوا) . .

وتطايرت إلى قلوب الجماهير سيول من السهام القاتلة . . وتعالت صيحات الفزع والرعب وتدفعت الجماهير نحو الأبواب قاصدين النجاة من هذه المذبحة الرهيبة لكنهم فوجئوا بفرق أخرى من الجنود تنتظرهم على الأبواب ، فلم يجدوا مخرجًا أو منفذًا للنجاة . . لقد حوصروا حصارًا محكمًا لا مفر منه ، واستمرت المجزرة حتى الغروب فامتلأت أرض الملعب الكبير بعديد من برك الدم الحمراء القانية . . وقد راح ضحية هذه المجزرة الآدمية ثلاثون ألف رجل . . وحين أخبر قائد الحرس تيودورا بنجاح المؤامرة ابتسمت ابتسامة خبيثة وهى تهز رأسها . .

ولم يمض وقت طويل على هذه الحادثة حتى اقتصت السماء من تيودورا . . فقد ظل المرض ينخر فى جسدها ويفتت فى عظامها وهى تحاول عبثًا بكل وسائل العلاج أن تنجو بلا جدوى . . وتشوه الجسد الجميل الذى طالما استغلته أداة لشرورها وآثامها . . وظلت امرأة مريضة مشوهة حتى لفظت أنفاسها الأخيرة تاركة وصية ساذجة تقول : اغسلوا جسدى بحمام من زيت الورد وعطروه بأفواح العطور ! .



١٠

حريم الملك « چان » الجبان ... شقيق ريتشارد قلب الأسد !!

تسلم

« چان سان تير » عرش انجلترا بعد مضى ستة أسابيع تقريبًا من وفاة شقيقه ريتشارد قلب الأسد ، الذى أصيب بسهم أمام قصر سالوس ، الذى كان يحاصره لإسقاطه والاستيلاء على محتوياته من الكنوز غير حافل بالحقوق والقيم الإنسانية . . وسرعان ما تخلى « چان » عن لقبه « چان سان تير » ليتخذ لقب « ملك انجلترا » الأكثر إغراء . .

وعندما استقر بـ « چان » الأمر اجتاز البحر ليمضى الخريف والشتاء فى مقاطعة أكيتانيا ، حيث المناخ أفضل والأرض أطيب ، وكان عندئذ موسم قطاف العنب . . والمعروف عن الملك الجديد أنه مولع بالخمر وبكل طيبات المائدة . .

وأخذ بعد ذلك يعد نفسه لسلسلة من الأعياد التى ستجرى فى «أنغوليم» فى قصر أحد الولاة الكبار المؤيدين له ، ويدعى «إيمار تايفير» كونت أنغوليم . . وكان إيمار يقوم بالترتيبات الخاصة بزواج ابنته «إيزابيلا» من أحد المتقدمين - وكانوا كثيرين - بطلب يدها ، وهو «هوك لوزينيون» لهذا الزواج أن يكون حدث العام . . لذلك وعد «چان» أن يشهد بنفسه المراسم ، وأن يأخذ بيد العروس إلى الهيكل ليظهر لرعيته أنه الراعى الصالح . .

كان « إيمار تايفير » فخوراً بثروته ومدينته ، وكذلك بجمال بنته «إيزابيلا» التى كانت عندئذ فى الخامسة عشرة من عمرها ، ومن أجمل الصبايا اللواتى يمكن أن يقع النظر عليهن . . وكانت هذه الفتاة شديدة الإعجاب بنفسها . . فقبل سنة تقريبًا اختارت لنفسها «هوك لولوزينيون» بالاستناد إلى مقولة بسيطة مفادها : « من حق أجمل فتاة أن تتزوج من

أجمل شاب » ، شرط أن يكون هذا عريقًا بنبالته ، وواسع الثراء ولهذا استبعدت من تفكيرها المنحدرين من الطبقات الشعبية ، مهما كانت وسامتهم . . و « هوك لوزينيون » ينحدر من سلالة الجنيه « ميلوزين » ويجمع في شخصه ما يلبي رغباتها ، بالإضافة إلى أن عائلته كانت قد أنجبت ملوكا حكموا القدس . . لقد أحبت إيزابيلا وهي ماتزال في الرابعة عشرة هذا البارون المتألق وهامت به . .

وفي مدى عام تغيرت أشياء كثيرة جعلت إيزابيلا وهي مقبلة على الزواج غير شديدة الاعتزاز ولا تشعر بالسعادة لاقتراب موعد زواجها من هوك الذي كان انسياقها العاطفي نحوه قد حصل قبل العصيان الذي أعلنه الإقطاع في منطقة ركيتانيا وضواحيها ، ضد الملك ريتشارد ، الذي هزمهم شر هزيمة وألحق بهم الخزي والعار ، كما كان دأبه دائمًا مع خصومه . . فقد دخل أنغوليم دخول المتصرين ، وكادت أن تحل الكارثة لولا تدخل الملك فيليب أوغست بكل قوته ، فتراجع عندئذ ريتشارد ، وقبل بالتفاوض الذي لم يفض إلى شئ بسبب وفاته أمام قصر شالوس ، أثر إصابته بسهم مميت . .

إن الشعور بالمهانة الذي أحست به عندئذ لم يفارقها ، وأصبحت تنظر إلى هوك لوزينيون ، وحتى إلى والدها على أنهما ليسا سوى مهزومين ، يدينان ببقائهما على قيد الحياة ، واحتفاظهما بأملاكهما لملك فرنسا . أما هي فتحلم بالامبراطورية .

كان عزاؤها الوحيد الذي سكب البلسم على كبريائها الجريحة أن ملك انجلترا سوف يأتي غدًا ، وإن يده الملكية سوف تقودها إلى الهيكل

حيث ستتم مراسم زواجها ، وفى هذا بعض التعويض الذى لا فائدة فيه ، وإن عمل على إسكات الآلام المنبعثة من جراحها الخفية إلى حين . .

أحست إيزابيلا لحظة دخول الملك إلى القصر بصدمة خفيفة . . كانت تتوقع أن ترى أمامها ريتشارد قلب الأسد آخر أكثر فتوة وصبا . . فكان فى الواقع عكس ذلك . . كان شكل « چان » وهو فى الثامنة والثلاثين مقبولاً ليس إلا . . كان مندلق البطن لشدة نهمه ، وكانت مشيته غير سوية ، تتماشى تمامًا مع نظرته التى تتسرب من أجفانه ، وتجعله أشبه بقط يتهيأ لعملية انقضاض . . لكن للتاج هالةسحرية ، ثم أنه ليس هو الرجل الذى ستتزوج منه إيزابيلا . .

ربما كانت تتمناه من بعيد . . ولو لم يكن هوك قريبًا منها لكانت . . خاصة وإن « چان » لم يكن مرتبطًا بأى امرأة أخرى . . لقد طلق زوجته « هادفيردوكلوسيستر » لأسباب غامضة ، وينوى الزواج من امرأة أخرى أوسع ثراء . .

تم اللقاء بينهما حسب التقاليد المفضلة للتعامل مع النساء التى ابتدعتها ورسختها والدته الملكة ألينو . . انحنت الفتاة تحت شمس الخريف الحارة كما تنحنى الوردة المتألقة . . وظل الملك لحظة مشدوها لا ينبس بكلمة ، ولا يقوم بحركة أمام جمالها الأخاذ ، لكنه حياها التحية التى تفيض حنانًا وروعًا ، وكأنه متعبد انتظر طويلاً أن يرى العذراء . .

جمعت مائدة العشاء الاثنين جنبًا إلى جنب ، واستعاد جان مرحه ، وبدا لبقا جدا معها ، ومهتما بها إلى درجة جعلت زوج الغد يقضم أظافره ، ويقول لها فى نهاية العشاء :

أنا سأكون زوجك وليس الملك . .

فآلمتها الملاحظة وردت : « هل يطلب إلى الفتاة أن تكون شرسة مع الآخرين لمجرد أنها ستتزوج فى اليوم التالى ، وأن تبدى شراسة أكبر إذا كان هؤلاء الآخرون ملوكًا ! ! . . إذا كان لهوك مثل هذا الشعور بالغيرة ، فما عليه إلا أن يختار خطيبة قبيحة » . .

فى اليوم التالى ارتدت المدينة كامل زينتها فازدحمت الشوارع بأثواب الحرير والمخمل ، وفاضت بالجماهير الفرحة ، وتدلى السجاد الملون الأنيق من النوافذ ، وسار الموكب حتى أبواب كاتدرائية سان بيير التى كانت ماتزال لجدتها ذات لون أبيض ناصع حيث احتشد الجميع بشكل كثيف ، أصبح من الشعب معه على الجنود الذين شكلوا طوقًا بشريا مسلحًا أن يحجزوا هذا المد الهائل من المتفرجين . . كما كان بالإمكان أن يرى المرء الكنيسة عبر الأبواب الكبيرة المفتوحة ، وقدد تألقت بأنوار الشموع التى كانت تنعكس على ثياب الكهنة المرصعة بالماس والأحجار الكريمة .

عندما أطل الموكب على الخيول علت صحيحة قوية ، وتبددت فيالسماء الزرقاء . . كانت هذه الصيحة والصيحات الأخرى التى تلتها تحيى فى الوقت نفسه الكونت الطيب « إيمار » ، وجمال العروس ، والملك الذى أراد هكذا أن يعبر عن احترامه العميق لعائلة تايفير . أما « هوك لوزيبنيون » فقد وضع فى الظل بعيدًا عن الأضواء ، ولم يهتم به سوى النساء ، لكنه كان الخطيب ! . .

ترجل الموكب على صوت الأبواق ، وتقدم جان بكل مهابة ممسكًا بيد إيزابيلا على الطريق المفروش بالورود الذى ينتهى إلى الهيكل . . ولحظة دخولهما دوى صوت الأرغن ، وعلت الأناشيد . . كانت يد

لفتاة تختلج قليلاً فى يد الملك ، ولم تكن ترى شيئًا من يده ، ليقدمها إلى رجل آخر . .

وفى هذه اللحظة أحسن أنها ملكة متمنية أن يمتد بها طريق الهيكل لعدة أميال . أحست بالندم لأنها لم تلتق بجان من قبل أن ترتبط بهول لوزينيون . لاشك أنه كان سيطلب يدها من والدها ، لكن الهيكل على بضعة خطوات منهما ، والأسقف ينتظر . .

لم يتخل جان عن يد إيزابيلاً ، ولم يتراجع إلى الخلف ، بل أصدر أوامره إلى الأسقف أن يستبدل العريس ، وأن يضعه مكان هوك :

إننى أعلن هنا عن أرادتى الملكية متخذًا هذه الفتاة زوجة لى وعلى الفور . .

انفجرت قهقهة عالية منعت الناس من سماع رد الأسقف الذى بدا فاقد الصواب . . واحتج الكونت « إيمار » . . أما هوك لوزينيون فقد أطلق العنان لعوامل الغضب التى بدأت تتفاعل فى نفسه منذ ليلة البارحة ، وانقض على خصمه فأوقفه الحرس فى اللحظة التى كانت قبضته ستسحق السحنة الملكية . . ومع ذلك لم يتزحزح جان عن موقفه . . حاول إيمار إقناعه بأن زواجًا كهذا مستحيل ، فرد عليه بوقاحة قائلاً : إن إيمار وابنته بعض من رعاياه ، وعليهما الانصياع لإرادته ، وأنه مهما كانت التقاليد والأصول المتبعة فمن واجبهما أن يشكراه وألا يصيحا كما فعلا . . إنه يريد إيزابيلا ، وستكون زوجته ، ولو بقوة السلاح إذا لزم ذلك !! . .

لم يلاحظ أحد أثرا لصدمة قوية على ملامح إيزابيلا . . ربما لوحظ العكس تمامًا . . فلقد تقدمت من والدها ، ومن خطيبها بنصيحة

فيها خبث مبطن . . طالبة من الأول أن ينصاع لأوامر الملك . . ومن الثانى أن يتحلى بالصبر . . عندئذ خرج الشاب عن طوره وعن الأساليب النبيلة وراح يكيل لها الشتائم ، واختفى بعدها هاربًا من تهمة النيل من الذات الملكية ! . .

لم يكن أمام الأسقف إلا أن يعقد قران الملك على إيزابيلا . . وبعد ذلك اندفع الملك مع زوجته الجديدة وحاشيته مخترقا جماهير المصلين . . وعندما وصل إلى باب الكاتدرائية الخارجى اعتلى حصانة وشق الحشد الذى لم يستفق بعد من دهشته ولم يعلم تمامًا ما حدث . . كان الملك وإيزابيلا يبتلعان غبار الطريق الترابى بدلا من الجلوس إلى مائدة عامرة . . ولم يتوقفا إلا فى « شينون » حيث أمضيا الليلة الأولى من شهر العسل . .

تميزت هذه الليلة بالحماسة المنقطعة النظير التى أبداها الملك من ناحيته على الأقل . . وبعد أن وضع تاجه على الطاولة بجانب السرير أصبحت إيزابيلا فى قبضة رجل متهدل الجسم ، مما جعلها تطلق زفرة فيها الكثير من الأسف والندم على الجسم المتألق الذى هجرته . .

ففى « شينون » أولا ثم فى « النورماندى » وأخيراً فى قصر «ويست موتييه ، وقصر ويندسور » أحست إيزابيلا أنها تتخبط فى شهر عسل لا نهاية له ، كما تتخبط الذبابة فى بقعة لزجة . . وخطر ببالها أن للزواج جوانب غير حميدة . . وفعلاً لم يترك لها جان من خلال شراهته الجنسية فرصة للراحة ، ولا وقتا للهدنة . . لقد أبقى زوجته الشابة أياما وليالى سجينة غرفة نومها وضحية هوى لا يبدو قابلا للارتواء . .

لم يكن هناك من وقت مستقطع تسترد فيه أنفاسها ، إلا فى تلك اللحظات التى كان الملك يجلس فيها لتناول وجباته ، ليعوض ما استهلكه من طاقة حرارية فى السرير ويرمم قواه المهدرة . . ولم يكن ينسى أن يطلب وجبات خاصة إلى السرير ، ليستعيد نشاطه الدؤوب على أرض المعركة . . بالرغم من كل ذلك ومن أن الظهور أمام الرعية لا يشغل سوى حيز صغير من حياة الملوك ، فإن جان لم ينس أن يخرج من عرينه من وقت لآخر أمام الجماهير بصحبة إيزابيلا . . لكنه يلفها بنظرات ملأى بالغيرة ، حتى أنها لم تتجرأ مرة واحدة أن تنظر فى عينى رجل آخر . . وكان هناك رجال يستحقون فعلاً اهتمامها . . لكن جان سبق وأن أخطرها بأنه إذا عنّ لرجل أن يقترب من زوجته المحبوبة ، فسوف يكون الموت عقوبته . . فمن العدل إذن ألا تستدرج إيزابيلا هذه الوجوه الوسيمة الشابة للمخاطرة بحياتها . .

إن تصرفات جان هذه جعلت إيزابيلا تحلم بشئ من الانطلاق والتحرر ، عندما كانت تستعد فى شهر تشرين أول لوضع التاج على رأسها . . وكم تاقت لمثل هذا اليوم . . لم تحس بحاجتها إلى الحرية ، ولا لأن جوانب الجمال عند زوجها قد تراجعت جدا فحسب ، بل لأنها اكتشفت بسرعة أى نوعية رديئة من الرجال قد تزوجت . .

كان جان رجلاً مزيفًا فظًا وبليدا . . ولم يكن على واحدة فقط من المناقب الحقيقية للملوك . . وكان على نقيض ذلك يجمع صفات الحاكم الطاغية ، بالإضافة إلى الجبن . . كان إذا حدث أمر مزعج فى المملكة يلتجئ إلى السرير ، يحتمى فيه بجانب إيزابيلا طبعًا ، محاولا أن يغرق مشاكله فى ملذات الحب . . وإذا لم يستطع بارونات بواتو الذين

انتصروا لهوك لوزينيون أن يرموا بالملك بعيداً عن القسم القارى للملكة ، فلأن الفضل فى ذلك يعود أولاً وأخيراً إلى شجاعة القطعات المقاتلة ، وإلى حكام المقاطعات الفرنسية . .

لقد هزم هوك لوزينيون ، لكنه لم يستكن . . واستنجد بملك فرنسا الذى يعتبر جان أحد أتباعه فى منطقة النورماندى ، لذلك كانت مناشدة لوزينيون للملك الأكبر فيليب أوغست ذريعة رائعة ينتظرها هذا الأخير ، فطلب إلى جان المثول أمام مجلس الأعيان الفرنسى ، فلم يستجب ، ولم يجرؤ على دخول الحرب ، برغم تحريض إيزابيلا له . . لقد كانت تتوق بكل أحاسيسها إلى رؤيته يدخل قصر المدينة ظافراً . . فحاولت جاهدة أن تقنعه بالنصح حينا ، وبالصياح حينا آخر . . فالفرصة مواتية للخلاص من هيمنة ملك فرنسا وسلطانه إلى الأبد ، ولإظهار تفوقه العسكرى عليه . . لكن جان وهو أعرف الناس بنفسه الجبانة والكاره لحياة الجنود ، كان لا يجيبها إلا بهزة من كتفيه : « لماذا لا نترك حل هذه المشكلة للزمن خاصة أن هوك لوزينيون قد تزوج كما يشاع ، ولابد أن يهدأ حقده يومًا ما » ! . .

إن إشاعة زواج هوك لوزينيون لم تدخل السرور إلى قلب إيزابيلا التى وإن أصبحت ملكة تظل امرأة ، ولا يمكن أن تقبل فكرة أن تنسى أو تستبدل أخرى بها . . فهى ترى أن رجلاً شرفته بحبها لحظة لابد أن يبقى وفيًا لهذا الحب إلى الأبد ، حتى وإن تخلت عنه هى لأتفه الأسباب . . إن إطلالة هوك لوزينيون جالسًا إلى نافذة قصره ، وقد استبد به هوى امرأة أخرى ، يشكل أرضية أوهامها وتخيلاتها . . كيف جاز لهذا الشاب أن يرفض دور العاشق الذى لا عزاء له ، والذى حددته له

بنفسها . . لقد تجرأ أن ينساها فى أحضان امرأة أخرى . . من يستطيع أن يتخيل وقاحة كهذه ؟! . . إن هذه الصورة الوقحة قد انسحبت تاركة المكان لصورة أخرى أشد إيلامًا لها : صورة هوك لوزينيون مع امرأة أخرى بين ذراعيه ، يبتسم لها ويداعبها . . بينما على إيزابيلا أن ترضخ إلى ما لا نهاية لعملية محاسبة يومية ترهقها فعلاً . .

وترددت الأوضاع أكثر عندما طلب إلى جان المثول من جديد أمام فيليب أوغست متهما بقتل ابن أخيه « أرتودوبريناني » . . ومن جديد رفض هذا الملك الرعديد أن يقود حملة باتجاه باريس . . كما أن الأنباء التى أفادت بتسليم الملك الفرنسى علم سان - دونيس إيذانًا بإعلان الحرب عليه ، لم يدفعه إلى عبور المانش . . لكن النتيجة المرة لم تنتظر تحركه . . فقد انتزع ملك فرنسا بسرعة خاطفة مقاطعة شمالى النورماندى الفرنسية من سلطة ملك انجلترا ، وسقطت عام ١٢٠٤ قلعة كإيار التى بناها ريتشارد قلب الأسد ، وخصها باهتمام خاص ، كما سقطت منطقة النورماندى بأكملها . . عندئذ لم تستطع إيزابيلا أن تتمالك نفسها ، فانفجرت فى وجه زوجها قائلة :

أنت لست ملكًا ، بل لست رجلاً . .

وتمطى جان فاغرًا فاه :

ماذا يهمنى من هذه الأراضى التى لابد لفيليب أوغست أن يسترجعها .

إن عاجلاً أو آجلاً . . ألا يبقى لنا من الأرض ما يكفى لسعادتنا ؟! .

فى هذا الكلام من الخضوع ما لا تستطيع إيزابيلا تحمله . . ولديها شجاعة الرجال ولا ترضى بغير الحرب ردا . . لذلك صفقت الباب فى وجه الملك ، وأحكمت إغلاقه بالمزاليج القوية . . أصبح الوضع على درجة كبيرة من الخطورة ، حتى أن الملكة العجوز « الينور » قضت نحبها أسى ومرارة ، ولم تؤثر مراسم الحداد فى جان الذى لا يعد وتفكيره ذلك الباب الموصد الذى لا تريد إيزابيلا فتحه . .

كانت كل مساء تجرى أحداث مسرحية مضحكة - مبكية أمام باب إيزابيلا التى لم تكن تجابه موجات التهديد والتوسل والتشفع إلا بهذه الكلمات :

أنا متزوجة من ملك إنجلترا وليس من رجل خانع ذليل . اذهب وبيدك السلاح مطالبًا فيليب باسترداد الأرض المحتلة . عندئذ ينفتح لك بابى . . وبالطبع فكر جان أن يحطم الباب ، لكن إيزابيلا التى توقعت منه ذلك اخطرته قائلة :

إذا دخلت علىّ بالقوة فسوف أقتل نفسى . .

وبما أنها لم تزل تحب الحياة قررت أن تضع بينها وبين جان حاجزاً أقوى من باب يمكن تحطيمه . . لقد قامت سرا بإعداد مستلزمات السفر . . وفى ليلة مناسبة (حالكة السواد) غادرت القصر وأبحرت مع بضعة أشخاص من حاشيتها باتجاه الشواطئ الفرنسية ، تاركة له رسالة على سطح غرفتها فوق المدخنة ، وهى عبارة عن جندى كلفته أن يخبر الملك أن زوجته سافرت إلى منزل والدها فى آنغوليم وأنها سوف تنقل بلاطها إلى بوردو ، وأن عليه أن يتصرف . .

أحست إيزابيلا فى أنغوليم أنها أكثر سعادة منها فى أى وقت مضى ، لأنها أخذت تشعر بحيويتها ، وتدرك أنها الآن أجمل منها سابقًا . . لقد أنضجت الولادتان جسمها وأعطيتاه بعدا واكتمالا ساحرين . . وما أكثر الرجال الذين أخذوا يقعون فى حبها . . كان أبرزهم - على ما يظن - «جوفروا دى رانغون» الذى سبق له أن طلب يدها . .

« جوفروا » هذا شاب جذاب . . أجمل من جان وأشجع منه بما لا يقاس . . لقد اكتشفت إيزابيلا وهى بين ذراعيه أن للمضاجعة خارج سرير الزوجية سحرها ، وأنها كانت غبية بما فيه الكفاية فيما مضى من حياتها مع زوجها . كانت بالإضافة إلى ذلك ذات مزاج لا يكتفى بوحدانية العشيق ، إلا إذا كان فريداً من نوعه ! . .

وجوفروا لم يكن فريداً فى نوعه . . لذلك سمحت إيزابيلا لنفسها أن تشرك معه رجالاً آخرين ، وهكذا تعرفت إلى الشاع « سافارى دومرليون » الذى أصبح لزمن ما فارس أحلامها . .

إلا أن خداع جان شئ والانفصال عنه شئ آخر . . هناك دائمًا تاج انجلترا الذى لم يفقد بريقه ، ولم يزل يشدها إليه برغم الأحداث التى نالت من شأنها . . فعندما قدم جان إلى بوردو ، وطالبها أن تقيم معه ، لم تستطع إلا أن تقتلع نفسها من علاقاتها وأن تعود إليه بعد أسبوعين من التأخير ، برغم نصائح تايفير وقلقله على مستقبلها . .

كان والدها مخطئًا جداً . . وكانت هى على حق . . لقد سر جان جداً باسترجاع زوجته التى ظنها قد ضاعت إلى الأبد ، فاستقبلها بذراعين مفتوحتين ، لا بل اعتذر عما يبب لها من صدمات ومتاعب . . سامحته إيزابيلا ، وقبلت اعتذاره بكل الكرم وفتحت له غرفة نومها

فاندفع إليها جان اندفاعا ، واتفق الطرفان على ألا يتطرقا إلى موضوع فيليب أوغست . . وسوف يستمر شهر العسل هكذا ويمتد إلى إنجلترا حيث استعادت الأجواء الزوجية الملكية سابق صفائها . . لكن أمرًا ما قد تغير ، وهو أن إيزابيلا أصبحت الآن قائد أوركسترا الحياة الملكية . . فهى لا تقبل بالإقامة الطويلة معه محبوسة بين جدران أربعة ، كما كان ذلك فى بداية زواجهما ، بل لا ترى سببا يمنعها من متابعة تجاربها الممتعة التى بدأت بها فى أنغوليم ، خاصة وأن تأثيرها على الرجال مايزال على أشده ، وماتزال تجد متعة خاصة بممارسته حتى حدود التعسف . .

إن من عشاقها الجدد الكونت « كوفونترى » الوسيم ، الذى يتمتع بمكانة خاصة لديها ويسمح له بالدخول إلى مخدعها الذى أصبحت الآن سيدته الوحيدة ، فجان لا يدخله إلا بإرادتها . . لقد انتهى به الأمر إلى أن قبل بهذا الواقع الغريب مخافة أن يرى مليكته المحبوبة ، وقد غادرته مرة أخرى . . كانت هناك خادمة أمينة مهمتها أن تفتح باب غرفة نوم الملكة سرا فى الليل . . لكن الملكة كانت تفضل غالبًا أن تلتقى عشيقها فى قصر متواضع ، فى إحدى الضواحى القريبة من لندن . . وبالرغم من كل هذا كانت الملكة حريصة أن تدارى الغيرة عند زوجها الملك . .

كان إعلان إيزابيلا عن حاجتها إلى الانكفاء والعزلة مثيرا لظنون زوجها الملك جان . . لقد وظف بعض ذوى الأيدى الملوثة الذين لا يخيفهم أن تزداد تلوثًا لتزويده بأخبارها . . وكان من نتيجة الجهود التى بذلها هؤلاء الجواسيس أن بوغتت الملكة ذات مساء وهى داخلة إلى غرفتها ، بعد تناول العشاء ، بالكونت الوسيم « كوفونترى » مشنوقًا فوق سريرها ويداه مقيدتان وراء ظهره . .

من المرجح أن الملكة فضلت في تلك الليلة الذهاب لتنام في مكان آخر قلقة قليلاً . . وهذا لا يعني طبعًا أنها تخشى أن يحصل لها ما حصل لعشيقها . .

واطمأنت بسرعة . . فلم تكن الحادثة إلا مجرد لفت نظر . . ولم يكن جان ليسمح لنفسه بتوجيه أقل اتهام لها . . أما هي فلم تنطق ولو بكلمة واحدة للجثة المكتشفة التي أخليت بسرعة من القصر ! . . وكانت هذه الحادثة بداية حرب غريبة قامت بين الزوجين . . لقد أصرت إيزابيلا مهما تكن الظروف ألا تتخلى عن ملذاتها . . ولم تنتظر طويلاً في اتخاذها عشيقًا آخر . . كان هذا مطربًا متجولاً قادمًا من غويانا . . وبعد بضعة أسابيع من علاقته بها تحول هو الآخر إلى أرجوحة فوق سرير الملكة ، دون أن يبدو على وجه الملك أي تعبير غير مألوف ، وظل يحب حتى درجة العبادة المعلنة امرأة تصر على خداعه . . ولقى عشيق ثالث المصير المتأرجح ذاته فوق السرير . . وبالطبع لم يقل جان شيئًا . . لقد أصيبت إيزابيلا بنوع من اليأس العابر ، فرأت أن تنجب له ولدًا ثالثًا متمنية بحسرة لو أن الملك يحبل ويلد . ولماذا لم يكن من واجب الملك الحمل والولادة ؟! . .

كان أن أصدر البابا أنيوسان الثالث فرمانا بحق الملك جان وأعلن عزله . . وبعد عام من هذا الحرمان ثار عليه باروناته وانتزعوا منه الوثيقة الكبرى المشهورة ، وازداد الوضع سوءًا إذا استنجد البارونات ، انطلاقًا من حرمان البابا ، بملك فرنسا الذي بعث بولي عهده لويس لوجون لينتزع التاج عن رأس لم يكن جديرًا به . . وفر جان هاربًا انسجامًا مع نفسه الجبانة ووفاء لها ، وراح يعدو في رحاب مملكته جارًا وراءه امرأة

فى ذروة الثورة والغضب . . كان فى عجلة وارتباك من أمره حتى أنه أضاع التاج غرقا فى مستنقعات لينكولا ! . .

لم تكن إيزابيلا التى أنجبت للملكة أكثر من وريث لتقبل بأن يلبس رجل فرنسى تاج انجلترا - فى حال العثور عليه - وكان الحل الوحيد لهذه المشكلة أن يموت جان . . ففى مساء أحد الأيام تناول جان كمية كبيرة من السمك المشبع بالنبيذ والعصير ، وفى الليل أعلن عن إصابته بإسهال شديد . . وفى الصباح مات جان كما عاش ميتة لا عز فيها ، فانتقل التاج إلى ابنه الأكبر ورحل لويس فرنسا ، أما إيزابيلا فقد أصبحت أما وملكة . . ولم تكن محبوبة لدى الشعب ، لذلك سافرت إلى مسقط رأسها الجميل آنغوليم ، حيث كان هوك لوزينيون يعيش حياة الأرمل بعد وفاة زوجته .

بعد ثلاث سنوات من وفاة جان ، تزوجت إيزابيلا من هوك لوزينيون الذى تركته مرة أخرى بعد فترة منسحبة إلى دير توتفرو لتنغلق جدران الدير الصامت عليها وتموت هناك بعد ثلاث سنوات بينما اختار هوك لوزينيون الانضمام إلى الحملة الصليبية حيث قتل على أبواب دمياط .



• صدر حديثاً للمؤلف •

١ - مشاهير وفضائح .

٢ - العالم السرى للنساء .

٣ - مذكراتهن .

• الفهرس •



دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع

٨ ش أبو المعالى (العجوزة) الجيزة - ت/فاكس: ٣٤٧٣٦٩١

١ ش سوهاج من ش الزقازيق - الهرم - ت/فاكس : ٥٦٣٤٦٩٩